

المختصر المفيد
في
بيان العقيدة الواسطية



المختصر المفيد في بيان العقيدة الواسطية

جمعه الفقير إلى عفو ربه
عبد الله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي
إمام وخطيب الجامع الكبير ببريدة
غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

الموقع الرسمي
www.qaraye.com

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

ح عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي؛ ١٤٤١هـ.

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القرعاوي، عبدالله بن إبراهيم بن عثمان

المختصر المفيد في بيان العقيدة الواسطية. / عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي.- بريدة، ١٤٤٠هـ.

٢٨٨ ص، ١٧×٢٤ سم

ردمك: ٢ ـ ٤٢٤٠ ـ ٠٣ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

١ـ العقيدة الإسلامية ٢ ـ التوحيد أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ١٤٤١/٩٠٧١

رقم الإيداع: ١٤٤١ / ٩٠٧١

ردمك: ٢ ـ ٤٢٤٠ ـ ٠٣ ـ ٦٠٣ ـ ٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فقد عزمنا إن شاء الله تعالى، وبه الثقة وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله على شرح (**متن العقيدة الواسطية**) في الجامع الكبير في بريده، ومؤلفها هو شيخ الإسلام ابن تيمية أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام الحراني ثم الدمشقي، المولود سنة ٦٦١هـ، والمتوفى سنة ٧٢٨هـ، فنسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد.

وهذه العقيدة المباركة قد ذَكر فيها، رحمه الله تعالى، أصول أهل السُّنة والجماعة، ومعتقد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، وبيَّن فيها أركان الإيمان الستة وما يجب من الإيمان بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله على

ما يليق بجلال الله وعظمته، وذَكر وسطية أهل السُّنة بين الفرق الضالة والطوائف المخالفة من أهل الاهواء والبدع والضلال، وقد نفع الله بهذه العقيدة المختصرة وحرص على حفظها والاستفادة منها طلاب العلم وغيرهم، وهذا المُؤلَّف شرحٌ مختصرٌ لهذه العقيدة المباركة يفيد الطالبين ويُذَكِّر الراغبين؛ وسميته ـ **المختصر المفيد في بيان العقيدة الواسطية** ـ نسأل الله أنَّ يجزي شيخ الإسلام خيراً وأن يحسن إليه، كما نسأله سبحانه أنَّ ينفع بهذا الشرح وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله مني وأن ينفعني به في حياتي وبعد مماتي ومن قرأه ونظر فيه وسمعه وجميع عباده إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

قال ذلك:

عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

المملكة العربية السعودية

القصيم ـ بريده



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:

فنبدأ في شرح العقيدة الواسطية التي ألفها شيخ الإسلام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، ونسأله سبحانه أنَّ يبارك وينفع بالمتن وشرحه ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق:

الحمد: هو ذكر صفات المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله، فإنَّ تجرد عن ذلك فهو مدح، ولذا فإنَّ الإخبار عن محاسن الغير إن كان مجرداً عن حب فهو مدح، وإن كان مقروناً بحبه وتعظيمه وإجلاله فهو حمد.

قوله: لِلّهِ: لفظ الجلالة علم على ذاته سبحانه وهو أعرف المعارف على الإطلاق، وهو مشتق من أَلَه يألَه إذا عَبَدَ فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، فلا يستحق أنَّ يكون معبوداً محبوباً لذاته إلا الله سبحانه وتعالى.

قوله: الذي أرسل رسوله: أي بعث رسوله. والرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، وأما النبي فهو من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه،

وقيل هو ما كان على شريعة من قبله من الرسل.

قوله: بالهدى: أي العلم النافع.

قوله: ودين الحق: أي العمل الصالح.

قوله: ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً: أي يعليه وينصره ظهوراً بالحجة والبيان، والسيف والسنان، حتى يظهر على مخالفيه، وقد حصل ذلك ولله الحمد والمنَّه.

قوله: على الدين كله: كما في الصحيحين : **(إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله)**.

قوله: وكفى بالله شهيداً: أي شاهداً أنه رسوله، وهو ناصره ومعليه، وكفى بشهادته سبحانه إثباتاً لصدقه، وكفى بالله شهيداً أي في علمه واطلاعه على أمر محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**﴾ أي أنه لا يغيب عنه شيء، ولا يعزب عنه، بل هو مطلع على كل شيء مشاهد له عليم بتفاصيله.

قوله: أشهد أنَّ لا إله إلا الله: أي أُقر وأعترف.

قوله: أنَّ لا إله إلا الله: أنَّ مخففة من الثقيلة ومعناها لا معبود بحق إلا

الله، وهذا معنى هذه الكلمة العظيمة، خلافاً لمن زعم أنَّ معناها القدرة على الاختراع، كما يقوله الأشاعرة، فإنَّ المشركين الذين بعث إليهم الرسول ﷺ يقرون بأن الله هو الخالق الرازق المحيي المميت المدبر لجميع الأمور ولم يدخلهم ذلك في الإسلام، فلا بدَّ من إعتقاد أنَّ معناها هو إفراد الله بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، وأنه لا معبود بحق سوى الله تعالى.

وهذه الكلمة هي أول واجب وأعظم واجب على الإطلاق، خلافاً لمن زعم أنَّ أول واجب معرفة الله بالنظر أو القصد إلى النظر أو الشك كما هي أقوال لأهل الكلام المذموم، فإنَّ معرفة الله فطرية فطر الله عليها عباده، ولهذه الكلمة أركان وشروط، فأركانها: **النفي، والإثبات**، وأما شروطها فهي سبعة: **العلم، واليقين، والإخلاص، والصدق، والمحبة، والانقياد، والقبول**.

ولا شك أنَّ لكل قول حقيقة، فمن قالها يجب عليه تحقيقها وهو أنَّ لا يعبد إلا الله وحده سبحانه، كما أنَّ تحقيق شهادة أنَّ محمداً رسول الله أنَّ لا يُعبد الله إلا بما أمرَ به وسَنَّهُ عليه الصلاة والسلام لقوله ﷺ: **(من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ)**.

وحق هذه الكلمة هو فعل الواجبات وترك المحرمات، ولا ريب أنَّ من حققها وأتى بحقها أنَّ له ثمرة وهي سعادة الدارين، وأما فضل

هذه الكلمة ففيه أحاديث كثيرة منها : حديث عبادة بن الصامت المتفق عليه أنَّ النبي ﷺ قال: (**من شهد أنَّ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل**) وكذلك حديث أبي سعيد الخدري أنَّ موسى عليه السلام قال: يا رب علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به. قال: «**قل يا موسى: لا إله إلا الله.. الحديث**» (رواه ابن حبان والحاكم).

وكذلك لهذه الكلمة نواقض ذكرها العلماء رحمهم الله في باب حكم المرتد، وأعظمها الشرك بالله، ومنه الذبح لغير الله، والاستغاثة بغير الله فيما لا يقدر عليه إلا الله، ومن نواقضها من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة وغير ذلك من النواقض، ومما ينبغي معرفته إعراب هذه الكلمة، لأنه مما يُبين معناها لمن قدر على ذلك وإعرابها: (لا) نافية للجنس تعمل عمل إنّ (وإِله) اسمها مبني معها على الفتح، وخبرها محذوف، والتقدير حق و (إلا) أداة استثناء ملغاة، ولفظ الجلالة (الله) مرفوع على البدلية، أي بدل من (حق) وبدل المرفوع مرفوع، وفي هذا يتبين لك أنك إذا قلت لا إله أنك تنفي الآلهة الباطلة.

وأما أُلوهية الحق سبحانه فإنها لا تدخل في المنفي، حيث قدرت الخبر بحق، أي لا إله حق، فمن قال لا إله موجود وقدَّر الخبر موجود فقد

أخطأ وارتكب منكراً من القول وإن لم يقصده، لأن الذي يعتقد أنه ليس في الوجود إله إلا الله بدون قول حق هم أهل الوحدة والاتحاد والحلول الذين يقولون كل ما في الوجود هو الله، فمن عبد شجرة أو حجراً أو إنساناً على زعمهم الباطل فقد عَبَدَ الله.

ولا شك أنَّ هذا كفر وضلال، وكذلك خطأ آخر في جعل خبر لا موجود أو في الوجود على حسب اعتقادهم الباطل، أنه لا إله في الوجود إلا الله وذلك بدون ذكر حق، وهذا أيضاً خطأ فإنه لو سلم من الخطأ الأول الذي يعتقده أهل الحلول والوحدة لم يسلم من الخطأ في اعتقاده عدم وجود آلهة باطله تعبد مع الله، لأن وجود الآلهة الباطلة ثابت في الكتاب والسُّنة كما هو الواقع من عُبَّاد القبور والأضرحة ودعائهم لها كما قال تعالى في إثبات وجود آلهة باطلة: ﴿**وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا**﴾.

وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿**أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ الله تُرِيدُونَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا**﴾، فإذا عرفت هذا تبين لك ما تنفي وما تثبت بـ (**لا إله إلا الله**) وأنك تنفي الآلهة الباطلة التي تعبد من دون الله وتثبت ألوهية الله سبحانه.

قوله: وحده لا شريك له إقراراً به وتوحيداً:

وحده: فيه تأكيد للإثبات.

لا شريك له: تأكيد للنفي.

إقراراً به: أي اعترافاً.

وتوحيداً: أي أقر واعترف بأنه سبحانه واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في ألوهيته وعبادته لا نَّد له، ولذا فإنَّ المناقض لتوحيد الربوبية إعتقاد مدبرٍ أو خالقٍ مع الله سبحانه وتعالى، والمناقض لتوحيد الألوهية هو الإعراض عن عبادته، أو عبادة غيره معه، والمناقض لتوحيد الأسماء والصفات شيئان: التشبيه، والتعطيل ويأتي تفصيلها إن شاء الله تعالى.

قوله: وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله:

وأشهد أنَّ محمداً: أي أقر واعترف بأن محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب عَبدُ الله ورسوله ﷺ.

ومحمد أحد أسمائه ﷺ كما قال: (**لي خمسة أسماء أنا محمد وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**) (رواه البخاري)، وأما اسمه أحمد فهو الذي بَشر به

المسيحُ عيسى عليه الصلاة والسلام كما قال تعالى عنه: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.

قوله: عبده ورسوله: هذه إضافة تشريف وتعظيم، كما قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ ، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾.

وفي قوله عبده ورسوله إشارة للرد على أهل الإفراط والتفريط، أهل الإفراط الذين غلوا فيه عليه الصلاة والسلام، وارتكبوا ما نهاهم النبي ﷺ عنه من الغلو.

ففي شهادة أنه عبد الله ورسوله دفع للإفراط الذي هو الغلو، والتفريط الذي هو الجفاء والاعراض مع أنّهم يشهدون أنه رسول الله ومع ذلك قد نبذوا ما جاء به وراء ظهورهم، واعتمدوا على الآراء المخالفة لما جاء به ﷺ، فإنَّ شهادة أنَّ محمداً رسول الله تقتضي طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما أمر به وسنّه، كما تقتضي الإيمان به وبجميع الرسل، لما بينهما من التلازم، وكذلك الإيمان بالكتب التي جاءت بها الرسل، ولا يعمل إلا بالقرآن ولا يتبع إلا رسول الله محمد ﷺ.

ومن القصائد التي فيها غلوّ قصيدة البردة للبوصيري فإنَّ فيها غلوّاً

وألفاظاً شركيةً، وصاحب هذه القصيدة هو محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي أصله من المغرب ولد في مصر سنه ٦٠٨ هـ، صوفي من أهل الطرق، له ديوان شعر وأشتهر بهذه القصيدة أي بالبردة التي احتوت على شركيات يحرم على المسلم إنشادها واعتقادها لما في ألفاظها من الشرك الأكبر كقوله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به

سواك عند حلول الحادث العمم

فإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

إن لم تكن آخذاً يوم المعاد بيدي

فضلاً وإلا فقل يا زلة القدم

إلى آخر ما في القصيدة من الألفاظ الشركية مات ٦٩٦ هـ، وهذا المذكور غير البوصيري المحدّث فإنَّ المحدث اسمه أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل البوصيري نسبة إلى بوصير من أعمال بني سويف بمصر، ولد سنة ٧٦٢هـ، ومن شيوخه الحافظ العراقي والحافظ ابن حجر له مؤلفات منها مصباح الزجاجه في زوائد ابن ماجه توفي سنه ٨٤٠هـ.

قوله: صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً مزيداً:

قوله: **صلى الله عليه:** الصلاة من الله هي ثناؤه عليه في الملأ الأعلى.

وعلى آله وصحبه: أي أتباعه على دينه، ويشمل الصحابة من أقاربه وغيرهم من المؤمنين.

وسلم تسليماً: أي السلامة من النقائص، ومن أسمائه سبحانه: السلام لسلامته من النقائص والعيوب وغيرهما، كما قال ابن القيم في النونية :

وهو السلام على الحقيقة سالم

من كل ما عيب ومن نقصان

وجمع المصنف بين الصلاة والسَّلام امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

مزيداً: أي زائداً من الزيادة وهي النمو.

قوله: **أما بعد؛ فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السُّنة والجماعة:**

أما بعد: هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من أسلوب إلى آخر.

قوله: **فهذا اعتقاد:** أي ما يعقد عليه القلب والضمير.

الفرقة: أي الطائفة والجماعة، والفرقة بكسر الفاء، وأما بضم الفاء فمعناه الافتراق.

الناجية: وهي التي حصلت على السعادة بسبب استقامتها على الحق، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **(افترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)** (رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وحديث ابن ماجه مختصر)، وقال الترمذي: حسن صحيح، وعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: **(إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وإن الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين: اثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة)** (رواه أبو داود والحاكم وصححه ابن تيمية والقرافي)، **قوله واحدة في الجنة:** الجماعة، وهذا يدل على نفي التعدد.

المنصورة: أي التي نصرها الله سبحانه وأيدها وقواها على من خالفها، وجعل العاقبة لها لتمسكها بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه كما في الصحيح من حديث المغيرة عن النبي ﷺ قال: **(لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون)** وفي حديث جابر بن سمرة وجابر ابن عبدالله أنَّ النبي ﷺ قال: **(لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم**

الساعة) (رواه مسلم وغيره)، ففيه البشارة أنَّ الحق لا يزول بالكلية.

قوله: إلى قيام الساعة: أي بحق المؤمنين التي يقبض فيها روح كل مؤمن، وإلا فالسَّاعة لا تقوم إلا على شرار الخلق.

قوله: أهل السُّنة: وسموا أهل السُّنة لانتسابهم لسنته ﷺ دون المقالات كلها والمذاهب، خلافاً لأهل البدع، فإنهم تارة ينتسبون إلى المقالة كالقدرية والمرجئة، وتارة إلى القائل كالجهمية والاشعرية، وتارة إلى الفعل كالروافض والخوارج والمعتزلة، ويجب على المسلم عموماً، وعلى طالب العلم خصوصاً، أنَّ لا يتعصب لأحد دون أحد ولا إلى ناس دون ناس وإنما ينتسب إلى السُّنة والعمل بها، وتأييد أهلها ومحبتهم، وأن يدعو إلى الله على ضوء ذلك، لا إلى التعصب على غير الحق أو إلى أمور الجاهلية، ولا شك أنَّ من فعل ذلك بالهوى والعصبية إن فيه تشبُّهاً بالرافضة الذين يعظمون ساداتهم ولا يأخذون عن غيرهم، وفيه شُبَهٌ من غلاة الصوفية الذين يغلون في أئمتهم ولا يأخذون عن غيرهم، وشُبهٌ من النصارى، والتعصب لغير الحق عمل مخالف لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿**أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ**﴾، وقال تعالى: ﴿**اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ**﴾.

قوله: والجماعة: الجماعة لغة: الفرقة من الناس، والمراد بهم هنا أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: (**من فارق الجماعة شبراً فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**) (رواه أحمد وإسناده صحيح وله شواهد عند البخاري ومسلم)، ثم ذكر المصنف رحمه الله أنَّ اعتقاد الفرقة الناجية هو الإيمان بالله وملائكته، وكتبه، ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، وهذا هو الاعتقاد النافع المنجي من العذاب، وهو الذي عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان، وهذه الأصول الستة ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿**آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾، وفي قوله تعالى: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾، وذكرها النبي ﷺ في حديث جبريل لمَّا سأله عن الإيمان وهو في الصحيح.

قوله: وهو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره:

الإيمان معناه لغة: التصديق، أما في الشرع: فهو قول وعمل واعتقاد يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ومعنى الإيمان بالله: الإقرار والاعتراف بوجوده سبحانه وتعالى وأنه متصف بصفات الجلال والعظمة والكمال،

منزه من كل عيب ونقص، وأنه المستحق للعبادة وحده لا إله غيره ولا رب سواه، وكذلك من الإيمان بالله الإيمان بتوحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات.

قوله: وملائكته: أي التصديق بوجود الملائكة، وأنهم كما ذكرهم الله سبحانه وتعالى: ﴿**عِبَادٌ مُكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ**﴾، وشأنهم كشأن الروح، فإنَّ الروح تذهب وتصعد ولا ترى، وكذلك الملائكة وقد يَتَمَثلُون على صورة الرجال كما في قوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا**﴾، وكما تمثل جبريل للنبي ﷺ لما سأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، وهم لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ويعبدون الله عبادةً عظيمة مع خوفهم منه سبحانه كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿**وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ**﴾ فهم السفراء بين الله ورسله وموكلون بأصناف المخلوقات ولا يعلم عددهم إلا الله تعالى كما قال تعالى: ﴿**وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ**﴾، فمنهم الموكل بالسحاب والمطر، ومنهم الموكل بالأرحام، ومنهم الموكل بحفظ بني آدم، ومنهم الموكل بحفظ ما يعمله العبد وإحصائه وكتابته، ومنهم الموكل بالموت والسؤال في القبر، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، فيجب الإيمان بهم إجمالاً، أما من علم عينه كجبريل وميكائيل وإسرافيل ونحوهم فيجب الإيمان بهم بأعيانهم.

قوله: وكتبه: أي الإيمان والتصديق بأنها كلام الله، وأنها حق ونور وهدى فيجب الإيمان بما سمى الله منها من القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بما لم يُسمّى مما أنزل على أنبيائه مما لا يعلمه إلا الله سبحانه، قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ الآية، ودلت النصوص على أنَّ الله تكلم بها حقيقه، وأنها أُنزلت من عنده سبحانه وفي ذلك إثبات الكلام لله وصفة العلو، وأما الإيمان بالقرآن فنؤمن أنه منزل غير مخلوق من الله بدأ وإليه يعود والإقرار به، والتصديق، والعمل به، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب.

قوله: ورسله: أي التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به وأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وأنه يجب احترامهم وتوقيرهم ومحبتهم، فيجب الإيمان بمن ذكرت أسماؤهم مفصلاً وأما من لم تذكر أسماؤهم فيؤمن بهم مجملاً، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ**﴾.

قوله: والبعث بعد الموت: أي ومن الإيمان بالله الإيمان بالبعث بعد الموت، وهو الإيمان باليوم الآخر، وما يقع فيه مما أخبر به النبي ﷺ به مما يكون بعد الموت من فتنه القبر، وعذابه، ونعيمه، والبعث، والنشر، والحشر، والحساب، والميزان، والجنة، والنار، نسأل الله الجنة ونعوذ به من النار.

قوله: والإيمان بالقدر خيره وشره: والقدر: هو قدرة الله، وهو أحد أصول الإيمان الستة، وهو علم الله تعالى بالأشياء على ما هي عليه فإنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لوكان كيف يكون، وسيأتي بسط ذلك من كلام المصنف إن شاء الله تعالى.

قوله: ومن الإيمان بالله الإيمان بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ:

أي أنه يجب على من آمن بالله أنَّ يؤمن بما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله محمد ﷺ، فمن جحد صفات الله سبحانه وتعالى فليس بمؤمن، قال تعالى: ﴿**وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ**﴾ الآية، وكذلك من عطلها أو شبهها بصفات خلقه، قال نعيم بن حماد: من شبه الله بخلقه كفر، ومن نفى ما وصف به نفسه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله تشبيه، وقال ابن القيم رحمه الله في النونية:

من شبه الله العظيم بخلقه
فهو النسيب لمشرك نصراني

أو عطل الرحمن من أوصافه
فهو الكفور وليس ذا إيمان

بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله: تنبيه أنّ صفات الله سبحانه وتعالى إنما تتلقى من الكتاب والسُّنة لا بآراء الخلق.

وفي باب الأسماء والصفات، عدة أصول:

الأول: أنَّ أسماء الله وصفاته غير محصورة بعدد.

الثاني: أنَّ الصفات تنقسم إلى قسمين:

القسم الأول: صفات ذاتية وهي التي لم يزل ولا يزال الله متصفاً بها ولا تتعلق بمشيئته سبحانه كالعلم والقدرة والحياة والسمع والبصر والوجه واليدين ونحو ذلك.

القسم الثاني: صفات فعلية، تتعلق بمشيئته وهي أفعال اختيارية، كالاستواء والمجيء والنزول والغضب والفرح والضحك ونحو ذلك.

الثالث: أسماء الله سبحانه وصفاته حقيقية وليست من قبيل المجاز خلافاً للمبتدعة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم.

الرابع: إذا كانت الصفة منقسمة إلى كمال ونقص لم تدخل بمطلقها في صفاته سبحانه.

الخامس: إذا كان الإخبار عنه سبحانه بالفعل مقيداً، فإنه لا يشتق منه اسم مطلق، كقوله تعالى: ﴿**وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾، وقوله ﴿**يُضِلُّ مَنْ**

﴿يَشَاءُ﴾ ونحو ذلك.

السادس: أسماء الله وصفاته من قبيل المحكم وليست من المتشابه، فإنَّ معناها واضح معروف في لغة العرب، وأما الكُنْه والكيفية فهو مما استأثر الله به في علم الغيب عنده.

السابع: القول في الصفات كالقول في الذات، فكما أننا نثبت لله ذاتاً لا تشبه الذوات فيجب أنَّ نثبت له صفات لا تشبه الصفات، كذلك القول في بعض الصفات كالقول في البعض الآخر، فمن أثبت الصفات ونفى البعض الآخر كالأشاعرة، فقد تناقض.

قوله: من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

من غير تحريف: أي من تغيير لألفاظ الأسماء والصفات، أو تغيير لمعانيها، فإنَّ التحريف ينقسم إلى قسمين:

الأول: تحريف اللفظ، كقولهم في ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ بنصب لفظ الجلالة، وكقولهم في (**استوى**): استولى.

الثاني: التحريف المعنوي: كقولهم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ أي جرحه بأظافير الحكمة تجريحاً.

قوله: ولا تعطيل: وهو لغة: الإخلاء، وأما معناه هنا فهو جحد الصفات

وإنكار قيامها بذاته سبحانه، ونفي ما دلت عليه من صفات الكمال، وأول من قال بالتعطيل في الإسلام: الجعد بن درهم، فقتله خالد بن عبدالله القسري بعد استشارة علماء زمانه.

وتلقى عن الجعد مقالة التعطيل: الجهم بن صفوان الترمذي، فنشرها وناضل عنها، فلذا نسب المذهب إليه، فيقال: جهمية بفتح الجيم، والجهم قتله سلْم بن أحوز أمير خراسان.

والتعطيل ينقسم إلى قسمين:

الأول: تعطيل المصنوع من صانعه وخالقه، كتعطيل الفلاسفة الذين زعموا قدم هذه المخلوقات، وأنها تتصرف بطبيعتها.

الثاني: تعطيل الخالق سبحانه من كماله المقدس بتعطيل أسمائه وصفاته، كتعطيل الجهمية وأشباههم من المعتزلة وغيرهم.

ولفظ التعطيل جاء ذكره بالقرآن، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ**﴾ أي: خلَّيت بلا راعي، وقال تعالى: ﴿**وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ**﴾ أي: عطلت البئر وترك وردها، فالمعطل يعبد عدماً والمشبه يعبد صنماً والموحد يعبد إلهاً فرداً صمداً.

قوله: ولا تكييف: والتكييف: تَعيين كُنْه الصفة وكيفيتها أي إذا جعل

لها كيفية معلومة، فلا نكيف أسماء الله وصفاته، لأنها مما استأثر الله به، فلا سبيل إلى الوصول إليه، إذ الصفة تابعة للموصوف، فكما أنه لا يعلم كيفية ذاته إلا هو سبحانه، فكذلك صفاته لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، وقد سئل مالك رحمه الله تعالى فقيل له: ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ كيف استوى؟ فقال: «**الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة**».

فقوله: **الاستواء معلوم**، أي في لغة العرب، **قوله**: والكيف مجهول، أي كيفية استوائه سبحانه وتعالى لا يعلم كنهها وكيفيتها إلا هو سبحانه، **قوله**: والإيمان به واجب، لثبوته بالأدلة من الكتاب والسُّنة، **قوله**: والسؤال عنه، أي عن الكيفية بدعة ففرق مالك بين الكيف الذي لا يعقله البشر وبين المعلوم وجواب مالك رحمه الله تعالى جواب سديد مفيد لجميع مسائل الصفات، فإذا سئل إنسان عن غضب الله ورضاه وضحكه، الجواب يقول: الغضب معلوم أي في اللغة، والكيف مجهول أي أنه يجهل الكيفية ولا يعلمها إلا الله سبحانه، والإيمان في صفة الغضب واجب لثبوته، والسؤال عنه بدعه أي تكلف وتنطع، لأن الصحابة لم يسئلوا رسول الله ﷺ عن ذلك، بل آمنوا بما جاء من صفات الله على مراد الله، وبما ثبت عن رسول الله على ما أمن به رسول الله ﷺ.

قوله: ولا تمثيل: التمثيل هو التشبيه، وهو أخص من التكييف، فالشبيه والمثيل والنظير ألفاظ متقاربة، فلا تمثل صفاته بصفات خلقه، فإنه لا مثل له ولا شبه له ولا نظير، لا في ذاته وأسمائه، ولا في صفاته وأفعاله، قال سبحانه وتعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، والتمثيل والتشبيه كقول: لله يد كأيدينا، وسمع كأسماعنا، وهذا محرم بل هو من قول أهل الضلال، وكل مشبه معطل وبالعكس، فإنهم جمعوا بين التمثيل والتعطيل مثلوا أولاً وعطلوا ثانياً، لأنهم لم يفهموا من أسماء الله وصفاته إلا ما يليق بالمخلوق، ومذهب السلف الصالح وسط بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا يعطلون صفاته سبحانه أي لا يجحدونها ولا يحرفونها ولا ينكرون قيامها بذاته ولا ينفون ما دلت عليه من صفات الكمال، فهم وسط بين أهل التعطيل وأهل التمثيل أي أهل السُّنة يثبتون الأسماء والصفات والأفعال لله على ما يليق بجلاله وعظمته ولا يشبهون صفاته بصفات خلقه سبحانه وتعالى.

قوله: بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير: أي إنه سبحانه لا مثل له في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، **وقوله (ليس كمثله شيء)** فيها رد على المشبهة الممثلة، **وقوله (وهو السميع البصير)** فيها رد على المعطلة النفاة.

والكاف في **قوله**: (**ليس كمثله شيء**)، لها معنى وهو التأكيد كما في قول الشاعر:

ليس كمثل الفتى زهير

خلقٌ يوازيه في الفضائل

وأما قول من قال إن الكاف زائدة فليس معناه أنه ليس لها معنى وإنما معناه عندهم أنه يستقيم الكلام بدونها، وفي هذه الآية إثبات السمع والبصر على ما يليق به سبحانه والرد على من زعم أنَّ السمع والبصر بمعنى العلم، وفيه الرد على المعطلة الذين ينفون الصفات بالكلية كالجهمية، والذين يثبتون الأسماء دون المعاني كالمعتزلة الذين يقولون سميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وتصور هذا القول يكفي في رده فإنه لو قيل له إن أباك كريم بلا كرم، سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، لأنكره ورأى أنَّ هذا القول مستهجن فلا يرضاه لنفسه ولا لأبيه فكيف يرضاه لخالقه، وفي الآية الرد على الأشاعرة الذين يثبتون بعض الصفات، ويؤولون البعض الآخر، وهم متناقضون تناقضاً بيّناً.

قوله: فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه: وكذا ما وصفه به رسوله ﷺ، بل يثبتون له الأسماء والصفات، وينفون عنه مشابهة المخلوقات فقد رضى ذلك لنفسه وهو سبحانه أعلم بنفسه.

وكذلك أهل السُّنة لا ينفون ما وصفه به رسوله ﷺ فإنه أعلم بالله وأصدق وأنصح من جميع الخلق، وأقدر على البيان والتبليغ، وقد بلغ البلاغ المبين، وسار على سنته الصحابة والتابعون لهم بإحسان، والخير في اتباعهم.

ولذا قال بعض السلف إذا قال الجهمي كيف استوى؟ أو قال كيف ينزل إلى السماء الدنيا ونحو ذلك، فقل له كيف هو بنفسه؟ فإذا قال لا يعلم كيف هو إلا هو وكُنه البارئ غير معلوم للبشر، فقل له فكيف يمكن أنَّ يعلم كيفية صفة للموصوف لم تعلم كيفيته فإذا كان في المخلوقات من لا يُعلمُ كُنهه فكيف في البارئ سبحانه، فهذه الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وقد ورد عن ابن عباس أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء، وكذلك الروح نجزم بوجودها ونؤمن بها، وأنها تعرج إلى السماء، وأنها تُسل من الإنسان وقت النزع، ومع هذا فلا نعلم كيفيتها فكيف يكون العلم بكُنه صفات الخالق سبحانه الذي لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، وأما أهل البدع من الجهمية وغيرهم فنفوا أسماء الله وصفاته وعطلوها؛ زعماً منهم أنَّ إثباتها يقتضي التشبيه، أو التجسيم، أو التحيز، ونحو ذلك من أقوال أهل الضلال، نعوذ بالله من قولهم الباطل.

فإثبات الأسماء والصفات لله على ما يليق بجلاله وعظمته لا يلزم منه

التشبيه والتجسيم.

قوله: ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ولا يلحدون في أسماء الله وآياته ولا يكيفون ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه:

قوله: ولا يحرفون الكلم عن مواضعه: أي أنَّ أهل السُّنة لا يحرفونه ويفسرونه بغير معناه، قال تعالى: ﴿**مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ**﴾، قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: أي يتأولونه على غير تأويله، ويفسرونه بغير مراد الله قصداً منهم وافتراء.

والتحريف على مراتب، منه ما يكون كفراً، ومنه ما يكون فسقاً، وقد يكون معصية، وقد يكون خطأ، والله اعلم.

قوله: ولا يلحدون في أسماء الله وآياته: أي أنَّ أهل السُّنة لا يلحدون في أسمائه وصفاته وآياته، والإلحاد هو الميل في أسماء الله كقوله تعالى: ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، ويكون في آيات الله لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا**﴾، ومن الإلحاد أنَّ ينكر شيئاً منها أو مما تتضمنه من الصفات كفعل الجهمية، أو يُسمي الله بما لم يسمِّ به نفسه، كتسمية النصارى له (أباً) أو أنَّ يعتقد دلالتها على مماثلة الله بخلقه كفعل المشبهه، أو أنَّ يشتق منها أسماء كتسمية اللات من الإله، والعزى من العزيز كل هذا من الإلحاد في أسماء الله تعالى.

قوله: **ولا يكيفون**: التكييف هو ذكر الصفة غير مقيدة بالمماثلة، مثل أنَّ تقول كيفية يد فلان كذا وكذا، أما التمثيل فهو ذكر الصفة مقيدة بالمماثلة، فتقول يد فلان مثل يد فلان، وعلى هذا كل ممثل مكيف لا العكس.

قوله: **ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه**: فأهل السُّنة يثبتون الأسماء والصفات، مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

قوله: **لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفؤ له ولا ندَّ له ولا يقاس بخلقه فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره**:

قوله: **لأنه سبحانه لا سَمِّي له**: أي لا نظير له، كما قال سبحانه: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ أي من يساميه أو يماثله، ويروى عن ابن عباس مثيلاً أو شبيهاً.

قوله: **ولا كفؤ له**: أي لا مثل له سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾.

قوله: **ولا ندَّ له**: أي لا شبيه له ولا نظير، قال تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾، وفي هذا رد على المعتزلة الذين يزعمون أنَّ العبد يخلق فعل نفسه.

قوله: ولا يقاس بخلقه: والقياس في اللغة التمثيل، قال تعالى: ﴿**فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ**﴾، فلا يقاس سبحانه بخلقه في أفعاله، ولا في صفاته، كما لا يقاس بهم في ذاته، خلافاً للمعتزلة ومن وافقهم من الشيعة، فإنهم قاسوه سبحانه بخلقه فشبهوه بهم، ووضعوا له شريعة من قبل أنفسهم فقالوا: يجب على الله كذا، ويحرم عليه كذا بالقياس على المخلوق، فالمعتزلة ومن وافقهم مشبهة في الأفعال معطلة في الصفات، جحدوا بعض ما وصف الله به نفسه من صفات الكمال، وسموه توحيداً، وشبهوه بخلقه فيما يحسن ويقبح من الأفعال، وسموا ذلك عدلاً، فكان توحيدهم في الحقيقة تعطيلاً وعدلهم شركاً.

قوله: فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره: أي فما جاء في الكتاب والسُّنة من صفاته سبحانه وجب الإيمان به، وتلقيه بالقبول والتسليم، وترك التعرض له بالرد والتشبيه والتمثيل، فقد وصف بها نفسه سبحانه ووصفه بها رسوله ﷺ.

قوله: وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه ثم رسله صادقون مصدُوقُون:

وأصدق قيلاً: قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا**﴾ ومعنى قيلا: قولاً، فيجب على المسلم أنَّ يصدِّقه ولا يعارضه ولا يعرض عنه، فمن عارضه بعقله لم يصدق به، وكذلك من أقر بلفظه مع جحد معناه، أو

حرفه إلى معان أُخر غير ما أريد به. لم يكن مُصدِقاً.

قوله: وأحسن حديثاً من خلقه: قال الله تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا**﴾ ومعناه لا أحد أحسن حديثاً منه سبحانه، فألفاظه أفصح الألفاظ وأبينها وأعظمها مطابقة لمعانيها المرادة منها، أي: فآيات الصفات واضحة المعنى وضوحاً تاماً.

قوله: ثم رسله صادقون: أي فيما جاؤوا به عن الله، قد بينوه غاية البيان ولم يبق فيه شك ولا إشكال.

قوله: مصدُوقُون: أي فيما يأتيهم من الوحي الكريم، قال تعالى: ﴿**قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾.

قوله: بخلاف الذين يقولون على الله ما لا يعلمون: أي بخلاف الذين يقولون على الله في شرعه ودينه أو في أسمائه وصفاته وأفعاله ما لا يعلمون، بل بمجرد عقولهم وتخيلاتهم المخالفة لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

قوله: ولهذا قال تعالى: سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين: وفي هذه الآية الكريمة دليل على ما تقدم من إثبات صدق الرسل عليهم الصلاة والسلام، وصحة ما جاؤوا به،

وأنه الحق الذي يجب اعتقاده، وأنهم وصفوا الله بما يليق به من صفات الكمال، ونزهوه عن صفات النقص والعيب.

قوله: سبحان ربك: التسبيح تنزيه الله وتقديسه من كل نقص وعيب، ويكون التسبيح للتعجب، ويأتي للتعظيم والذكر.

قوله: رب العزة: أي القوة والغلبة، والقهر والامتناع.

قوله: عما يصفون: أي تنزه سبحانه وتقدس عما يصفه به المخالفون للرسل.

قوله: وسلام على المرسلين: أي سلامُ اللهِ عليهم في الدنيا والآخرة.

قوله: والحمد لله رب العالمين: الحمد هو الثناء على الله مع حبه وتعظيمه، والرب هو الخالق الرازق المدبر لجميع الأمور، ولا يطلق إلا على الله سبحانه وتعالى إلا إذا أضيف فيطلق على غيره كرب الدار، ولفظة رب وإله فيهما دلالة الاقتران والانفراد، فإذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر، وإذا ذُكرا معاً فسر الرب بما تقدم، وفسر الإله بأنه المعبود المطاع.

قوله: العالمين: العالم: كل من سوى الله، سمي بذلك لأنه علامة على وجود خالقه وموجده، ووحدانيته، وأنه المستحق للعبادة.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ولما كان التسبيح يتضمن التنزيه والتبرئة من النقص بدلالة المطابقة، ويستلزم إثبات الكمال، كما أنَّ الحمد يدل على إثبات صفات الكمال مطابقة ويستلزم التنزيه عن النقص، قرن بينهما في هذا الموضع وفي مواضع كثيرة من القرآن؛ ولهذا قال: ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الصافات: ١٨٠-١٨٢].

قوله: فسبح عمًّا وصفه به المخالفون للرسل:

أي: نزهها عما وصفه به المخالفون للرسل، فإنَّ الرسل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم وصفوه بصفات الكمال ونزهوه عما لا يليق به من الشبيه والمثال، وأما المخالفون فوصفوه بضد ذلك، وهذه الكلمة: أي سبحان ربك، تنزيه للرب وتعظيم له وإجلال.

وسلَّم على المرسلين لسلامة ما قالوه من النقص والعيب: أي ما قاله الرسل، فإنه الحق الذي يجب اعتقاده واتباعه.

قوله: وهو سبحانه قد جمع فيما وصف وسمى به نفسه بين النفي والإثبات:

وصف: الصفة النعت، والصفة ما يقوم بالموصوف كالعلم والجمال،

وأسماؤه سبحانه تنقسم إلى قسمين: أعلام وأوصاف، والوصفية فيها لا تنافي العلمية، بخلاف أوصاف العباد، فإنه ليس كل من سُمّي باسم يكون صفةً له، وصفاته سبحانه وتعالى دالة على معان قائمة بذاته، فيجب الإيمان بها، والتصديق، وإثباتها لله حقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته، فلا تنافي بين الوصفية والعلمية.

بين النفي والإثبات: فالنفي كقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، والإثبات كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾، والنفي كقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، والإثبات كقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، والنفي كقوله: ﴿لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾، والإثبات كقوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا﴾، وهذا ما عليه أهل السُّنة فإنهم أثبتوا لله سبحانه الأسماء والصفات، وأما المعطلة والمتفلسفة ونحوهم، فإنهم يقولون بنفي مفصل وإثبات مجمل، خلاف ما عليه أهل السُّنة من الإجمال في النفي والتفصيل في الإثبات.

قوله: فلا عدول لأهل السُّنة والجماعة عما جاء به المرسلون؛ فإنه الصراط المستقيم:

فلا عدول: أي فلا ميل ولا إنحراف لأهل السُّنة والجماعة عما جاء به المرسلون، بل هم مُقتفون آثارهم، مُستضيئون بأنوارهم، مُؤمنون بجميعهم، مُصدقون لهم في كل ما أخبروا به من الغيب، إذ هو الحق

والصدق الذي يجب اعتقاده واتباعه، ولا تجوز مخالفته، وأعظم ما جاء به المرسلون هو: الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، ومعرفته بأسمائه وصفاته وأفعاله، وأنه لا شبيه له، ولا نظير.

قوله: فإنه الصراط المستقيم: أي أنَّ ما جاء به المرسلون هو الصراط المستقيم، وهو الذي لا طريق إلى الله ولا إلى جنته سواه، والصراط قيل: الإسلام، وقيل: القرآن، وقيل الرسول ﷺ فما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه علماً وعملاً هو الصراط المستقيم، والصراط المذكور في الكتاب والسُّنة ينقسم إلى **قسمين**: معنوي وحسي، **فالمعنوي**: هو ما تقدمت الإشارة إليه، **والحسي**: هو الجسر الذي ينصب على متن جهنم يوم القيامة، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم، فبحسب استقامة الإنسان على الصراط المعنوي في الدنيا تكون استقامته على ذلك الصراط الحسي في الآخرة.

قوله: صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين:

صراط: بدل من الصراط الأول، أي طريق المنعم عليهم.

أنعم الله عليهم: أي بنعمة الإسلام، وهي التي أمرنا الله أنَّ نسأله أنَّ يهدينا صراط أهلها، ومن خصهم بها، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ

ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾ [النساء: ٦٩]، هذه النعمة المطلقة لأهل الإيمان، وأما مطلق النعمة فعلى المؤمن والكافر، فكل الخلق في نعمته كقوله تعالى ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾[المائدة: ٣].

قوله: من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين:

قوله: من النبيين: الذين اختصهم من خلقه وشرفهم برسالته ونبوته.

قوله: والصديقين: الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم، كما سمي أبو بكر الصديق، فأعلى مراتب الصدق الصديقية، وهي كمال الانقياد للرسول ﷺ مع كمال الإخلاص للمرسل جل جلاله وتقدست أسماؤه.

قوله: والشهداء: والشهيد هو المقتول في سبيل الله في حرب الكفار، وأما الذي وردت النصوص بأنه شهيد في الآخرة دون أحكام الدنيا فهو الغريق، والحريق، والمطعون، والمبطون، ومن قتل دون ماله أو دون نفسه أو دون حرمته.

قوله: والصالحين: الصالح: هو القائم بحقوق الله وحقوق عباده.

قوله: وقد دخل في هذه الجملة ما وصف الله به نفسه في سورة الإخلاص: أي من النفي والإثبات، أي سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾،

فإنها اشتملت على النفي والإثبات: إثبات صفات الكمال ونفي التشبيه والمثال.

وسميت سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ بسورة الإخلاص لأنها أُخلصت في صفة الله، ولأنها تُخَلِّص قارئها من الشرك العلمي الاعتقادي.

وسبب نزول هذه السورة ما رواه أحمد عن أبي بن كعب أنَّ المشركين قالوا للنبي ﷺ أنسب لنا ربك فأنزل الله ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، أي: قل يا محمد، لهؤلاء المشركين ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ أي منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، لا شريك له، ولا مثيل، ولا نظير، وفي هذا دليل على الجهر بالعقيدة والتصريح بها.

وفيه الرد على الجهمية والمعتزلة وأشباههم، ممن يقول أنَّ القرآن ابتدأه النبي ﷺ من قبل نفسه، وهذا قول باطل، لأنه ﷺ مبلغ محض عن الله عَزَّوَجَلَّ، فما على الرسول إلا البلاغ المبين.

قوله: الله الصمد: الصمد أي: الذي تصمد إليه القلوب بالرغبة والرهبة، وعن ابن عباس في معنى الصمد: هو الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم ومسائلهم.

وقال الربيع بن أنس: هو الذي لم يلد ولم يولد، كأنه جعل ما بعده

تفسيراً له.

ومن قال: إن الصمد هو الذي لا جوف له، فقوله لا يناقض ما تقدم فإنه سبحانه هو الذي اجتمعت فيه صفات الكمال ولا جوف له.

فالسورة تضمنت كلَّ ما يجب نفيه عن الله تعالى، وما يجب إثباته لله من جهة أسمه الصمد، ومن جهة أنَّ كل ما نفي عنه من الأصول والفروع والنظير إستلزم ثبوت صفات الكمال فإنَّ ما يمدح به سبحانه من النفي لابدَّ أنَّ يتضمن ثبوتاً وصفة كمال.

قوله: لم يلد: فيه الرد على اليهود والنصارى والمشركين، فإنَّ اليهود قالوا: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، ومشركوا العرب زعموا: أنَّ الملائكة بنات الله، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

قوله: ولم يكن له كفواً أحد: **الكفو**: المثل والشبيه، فهذه السورة تضمنت توحيد الإعتقاد والمعرفة والإثبات وما يجب إثباته لله عَزَّوَجَلَّ من الأحدية المنافية لمطلق المشاركة بوجه من الوجوه، والصمدية المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه فيها نقص بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم صمديته وغناه وأحديته، ونفي الكفؤ المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل، ولهذا جاء في الحديث أنَّ هذه السورة تعدل ثلث القرآن.

قوله: وما وصف به نفسه في أعظم آية في كتاب الله: وهي آية الكرسي، لما في صحيح مسلم أنّ النبي ﷺ قال لأُبي بن كعب: يا أبا المنذر أتدري أي آية في كتاب الله معك أعظم؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فرددها مراراً ثم قال أُبي: هي آية الكرسي ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ فقال: ليهنك العلم يا أبا المنذر.

قوله: آية: هي **لغةً**: العلامة، **واصطلاحاً**: كلمات من القرآن متميزة بفصل.

قوله: الله لا إله إلا هو: أي لا معبود بحق إلا هو سبحانه، قوله: ﴿ٱلْحَيُّ﴾ أي: الدائم الباقي سبحانه وتعالى.

وقوله: القيوم: أي القائم بنفسه، المقيم لما سواه.

وقوله: لا تأخذه سنة ولا نوم: السِّنَة: النعاس، والنوم ثُقل في الرأس، والسِنَة في العين، والنوم في القلب، أي أنه سبحانه لا يغيب عنه شيء ولا تخفى عليه خافية، كما في الصحيح من حديث أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات، فقال: (**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أنَّ ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النار أو النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**).

قوله: له ما في السماوات وما في الأرض: ملكاً وخلقاً وعبيداً.

قوله: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه: أي ليس لأحد أنَّ يشفع عنده لعظمته وكبريائه إلا بإذنه سبحانه وتعالى.

قوله: ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء: أي لا يحيط الخلق بشيءٍ من علمه إلا بما شاء أنَّ يُعْلِمهم إياه، ويُطْلِعهم عليه، كما قال سبحانه عن الملائكة: ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

قوله: وسع كرسيه السماوات والأرض: أي ملأ وأحاط، والكرسيُّ مخلوق عظيم، وهو موضع القدمين لله سبحانه وتعالى، كما روي عن ابن عباس في قوله: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ أنه موضع القدمين، والعرش لا يقدر قدره إلا الله، وقد روي مرفوعا، والصواب أنه موقوف على ابن عباس، وذكر ابن جرير عن أبي ذر: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض وأما ما زعمه بعضهم أنَّ معنى ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ علمه، ونسبه إلى ابن عباس فليس بصحيح.

قوله: ولا يؤوده حفظهما: أي لا يكرثه ولا يثقله ولا يعجزه حفظهما، أي حفظ السماوات والأرض وما بينهما، وهذا النفي في قوله: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ

حِفْظُهُمَا﴾ لثبوت كمال ضده، وكذلك كل نفي يأتي في صفات الله.

قوله: وهو العلي: أي أنَّ الله سبحانه له العلو الكامل من جميع الوجوه: علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فعلو القهر أنه سبحانه عالٍ على كل شيء، أنه قادر عليه متصرف فيه، وعلو القدر، أي أنه عالٍ عن كل عيب ونقص، كما في دعاء الاستفتاح (وتعالى جدك). وعلو الذات، أي أنه سبحانه عالٍ بذاته على جميع خلقه فوق عرشه بذاته سبحانه وتعالى.

قوله: العظيم: أي الذي لا أعظم منه ولا أجلَّ، لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله.

قوله: ولهذا كان من قرأ هذه الآية في ليلة لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح: وهذا رواه البخاري في صحيحه، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: وكلني رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته، وقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: دعني فإني محتاج، وعلي عيال، لا أعود فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت فقال لي رسول الله: يا أبا هريرة، ما فعل أسيرك البارحة؟ قلت: يا رسول الله شكا حاجة وعيالاً فرحمته وخليت سبيله، قال: أما إنه قد كذبك وسيعود فعرفت أنه سيعود، لقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إنه سيعود، فرصدته فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: دعني

فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته وخليت سبيله، فأصبحت فقال رسول الله ﷺ: ما فعل أسيرك البارحة؟ فقلت: يا رسول الله شكا عيالاً وحاجة فرحمته فخليت سبيله، قال: أما إنّه قد كذبك وسيعود فرصدته الثالثة فجاء يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنَّك إلى رسول الله ﷺ وهذه آخر ثلاث مرات تزعم فيها أنك لا تعود ثم تعود، فقال: دعني أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: وما هي فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾. حتى تختم الآية فإنَّك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ: «**أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال**، قلت: لا. **قال: ذاك الشيطان**».

قوله: ولا يقربه شيطان: أي لم يزل عليه من الله حافظ يحفظه من الشيطان وغيره.

قوله: شيطان: الشيطان يطلق على كل متمردعات من الجن والإنس، من شطن إذا بعد لبعده عن رحمة الله، أو من شاط يشيط إذا هلك واحترق.

قوله: هو الأول والآخر والظاهر والباطن: قد فسر الرسول الله ﷺ هذه الأسماء بقوله: (**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس**

دونك شيء) (رواه مسلم)، فهو سبحانه أول ليس قبله شيء، وأما القديم فليس من أسمائه سبحانه، لكن إن ذكر على طريق الإخبار به فجائز، قال في النونية:

وهو القديمُ فلم يزلْ بصفاتِه

مُتَوحداً بل دائِمَ الإحسانِ

وهذه الأسماء الأربعة متقابلة، اسمان لأزليته وأبديته وهما الأول والآخر، واسمان لعلوه وقربه وهما الظاهر والباطن.

قوله: وهو بكل شيء عليم: في الآية وصفه سبحانه بكمال العلم والإحاطة بكل شيء فالعلم من الصفات الذاتية، فهو سبحانه واسع في علمه لا يخفى عليه شيء، وفيها الرد على المعتزلة والرافضة الذين يزعمون أنَّ الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، والرد على من يزعم أنه يعلم الكليات دون الجزئيات.

قوله: وتوكل على الحي الذي لا يموت: الآية، **التوكل لغة:** التفويض، **وحقيقته شرعاً:** هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب ما ينفع ودفع ما يضر، ومن أسمائه سبحانه الوكيل، ومعناه الكافي لعبده، والقائم بأموره ومصالحه، وأما حكم التوكل، فهو فرض لهذه الآية ولغيرها من الأدلة،

والتوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب، بل إنَّ العبد مأمور بعد التوكل على الله بالأخذ بالأسباب كما في حديث عمر رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**لو أنكم توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا**) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح، ورُوي أنّ عمر لقي أناساً من أهل اليمن، فقال: من أنتم؟ فقالوا: نحن المتوكلون، قال: بل أنتم المتأكلون، إنما المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله، لذا فإنَّ التوكل لا ينافي القيام بالأسباب وإلا فيكون بطالةً وكسلاً وتوكلاً فاسداً.

والتوكل ينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: توكل على الله، وهو من أشرف أعمال القلوب وأجلها، ولا يجوز صرفه لغير الله، فهو كالسجود، فكما أنه لا يجوز أنَّ يسجد لغير الله، فكذلك لا يجوز أنَّ يتوكل على غير الله، ولذا فإنه لا يجوز أنَّ يقول الإنسان توكلت على الله ثم عليك، بل يجب أنَّ يتوكل على الله وحده، وأما التوكيل فهو جائز، والفرق بين التوكل والتوكيل أنَّ التوكل من أعمال القلوب والتوكيل من أعمال الجوارح. **القسم الثاني**: التوكل على غير الله تعالى، **وينقسم إلى قسمين:**

الأول: التوكل على غير الله في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله،

كالتوكل على الأموات من أولياء ونحوهم في جلب رزق، أو نصر، أو نفع أو دفع ضر ونحو ذلك فهذا شرك أكبر.

الثاني: التوكل على أحد في شيءٍ يقدر عليه من جلب رزق، أو دفع أذى، ونحو ذلك، فهذا النوع من الشرك الأصغر.

أما توكيل الإنسان غيره في فعل ما يقدر عليه نيابةً عنه، فهذه وكالة جائزة لكن ليس له أنَّ يعتمد عليه، بل يتوكل على الله وحده في تيسير أمره ويوكَّل غيره وذلك من جملة الأسباب الجائزة.

وقوله: وهو الحكيم الخبير:

قوله: الحكيم: أي الحاكم بين خلقه بأمره الديني الشرعي، وأمره الكوني القدري، والحكيم له معنيان:

الأول: بمعنى المحكم المتقن للأشياء، والإحكام يكون في شرعه وأمره، وفي خلقه وقدره، كما أنَّ حكمه سبحانه حكم كوني قدري، وحكم ديني شرعي، والحكمة وضع الأشياء في مواضعها.

والحكمة حكمتان: علمية، وعملية، **فالعلمية**: الاطلاع على بواطن الأشياء، **والعملية**: وضع الشيء في موضعه، وحكمته سبحانه صفة قائمة به، كسائر صفاته فإنه سبحانه حكيم في خلقه وأمره.

قوله: الخبير: اسم من أسماءه سبحانه، فمعناه الذي انتهى علمه إلى الإحاطة ببواطن الأشياء وخفاياها، والله جَلَّجَلَالُهُ حكيم خبير على ما يليق بجلاله وعظمته.

قوله: يعلم ما يلج في الأرض: أي يعلم ما يدخل فيها، أي في الأرض من القطر والبذور والكنوز والموتى وغير ذلك.

قوله: وما يخرج منها: أي من الأرض من النبات والمعادن.

قوله: وما ينزل من السماء: من المطر والملائكة وغير ذلك.

قوله: وما يعرج فيها: أي يصعد في السماء.

قوله: وهو معكم: أي مع خلقه سبحانه بعلمه وإحاطته، وسيأتي إن شاء الله الكلام على المعية.

قوله: وعنده مفاتح الغيب: وهي الخمسة المذكورة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾، والمراد بالغيب الغيب المطلق: وهو الذي لا يعلمه إلا الله، كما في الحديث الصحيح: (**خمس لا يعلمهن إلا الله... الحديث**) رواه البخاري.

وأما الغيب المقيد فهو ما علمه بعض المخلوقات دون بعض كما في قوله تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾.

قوله: **لا يعلمها إلا هو:** أي مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا الله.

قوله: **ويعلم ما في البر:** أي القفار من النبات والدواب وغير ذلك.

قوله: **والبحر:** أي يعلم ما فيه من الحيوانات والجواهر ونحو ذلك.

قوله: **وما تسقط من ورقة:** أي من أشجار البر والبحر وغير ذلك.

قوله: **إلا يعلمها:** سبحانه.

قوله: **ولا حبة في ظلمات الأرض:** من حبوب الثمار، والزروع وغير ذلك.

قوله: **ولا رطب ولا يابس:** هذا عموم بعد خصوص.

قوله: **إلا في كتاب مبين:** أي مكتوب في اللوح المحفوظ، لأن الله كتب علم ما يكون وما قد كان قبل أنَّ يخلق السماوات والأرض، ومراتب القضاء والقدر أربع مراتب: علمه سبحانه العام الشامل لجميع الأشياء، وأنه سبحانه كتب مقادير كل شيء إلى أنَّ تقوم الساعة، ومشيئته العامة

الشاملة لكل شيء، وأنه سبحانه خالق كل شيء، وسيأتي تفصيل ذلك إن شاء الله في الكلام على القدر.

قوله: وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه: أي أنه سبحانه يعلم في أي يوم تحمل، وفي أي يوم تضع، وهل هو ذكر أو أنثى، ففي هذه الآية إثبات سعة علمه سبحانه وأنه منفرد بعلم ما في الأرحام وعلم مدة إقامته فيها.

قوله: لتعلموا أنَّ الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً: هذه الآية فيها إثبات صفة القدرة لله سبحانه وتعالى وكماله وعظمته وهي من الصفات الذاتية.

قال أحمد رحمه الله القَدَر قُدْرةُ الله. ونفاة القدر قد جحدوا كمال قُدرة الله سبحانه، ولا شك أنَّ قولهم باطل، مخالف لنصوص الكتاب والسُّنة.

قوله: على كل شيء قدير: عام يتناول كل شيء، فيدخل فيه أفعال العباد من الطاعات والمعاصي، فإنها داخلة تحت قدرة الله ومشيئته، والعبد فاعل لها بقدرته ومشيئته، لقوله تعالى: ﴿**لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾.

والقدرية تنكر دخول أفعال خلقه تحت قدرته ومشيئته وخلقه، فهو

سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، لا خالق غيره ولا رب سواه، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة أو سكون فبقضائه وقدره ومشيئته وخلقه، وهو سبحانه أمر بطاعته وطاعة رسوله، ونهى عن معصيته ومعصية رسوله، ولا يتناقض الأمران، خلافاً لأهل البدع.

قوله تعالى: وأن الله قد أحاط بكل شيء علما: أي أنَّ الله سبحانه أحاط بالأشياء علماً، فلا يخرج حادث من الأعيان والأفعال عن قدرته وخلقه، كما لا يخرج عن علمه ومشيئته.

ولذا لا يقال وهو على ما يشاء قدير، بل يُقال على كل شيء قدير لعموم قدرته ومشيئته، خلافاً لأهل البدع من المعتزلة وغيرهم.

قوله: إن الله هو الرزاق: معناه أنَّ الله سبحانه هو الذي أعطى الخلائق أرزاقها وساقها إليهم، والرزق بالفتح: العطاء، وبالكسر لغة: الحظ والنصيب، وشرعاً: «**هو ما ينفع من حلال أو حرام**».

والرزق منه خاص يخص به سبحانه من يشاء من عباده وهو رزق القلوب العلم والهدى والإيمان، ومنه عام وهو لجميع الخليقة من جن وإنس برها وفاجرها وبهائمها وطيورها ودوابها وغيرها، سواء كان من الحلال أو الحرام، إلا أنه يثاب على الحلال ويعاقب على الحرام، قال

تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾ الآية.

وقوله: ذو القوة: أي صاحب القوة التامة، والقوة من صفات الذات.

قوله: المتين: أي الذي له كمال القوة.

قوله: ليس كمثله شيء وهو السميع البصير: هذه الآية فيها إثبات صفة السمع والبصر لله على ما يليق بجلاله وعظمته.

قوله: إن الله نعمَّا يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً: نِعْمَ من ألفاظ المدح (ما) موصولة، أي نعم الشيء الذي يعظكم به.

قوله: يعظكم: أي يأمركم به من أداء الأمانات، والحكم بين الناس بالعدل.

قوله: إن الله كان سميعاً بصيراً: هذه الآية وما قبلها من الآيات تدل على إثبات السمع والبصر لله حقيقة، كما يليق بجلال الله وعظمته، وفيها دليل على أنَّ صفة السمع غير صفة البصر، فالصفات بالنظر إلى الذات مترادفة، لأنها كلها صفات لذات واحدة، وبالنظر إلى الصفات متباينة لأن كل صفة غير الصفة الأخرى.

وقوله تعالى: ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله: أي هلا قلت حين دخلت جنتك أي: بستانك، قلت: ما شاء الله، أي

إقراراً بمشيئة الله واعترافاً بالعجز وأنّ القدرة لله سبحانه، فإنَّ شاء أبقى الجنة أي البستان وإن شاء أفناها، ففي هذه الآية إثبات المشيئة له سبحانه الشاملة العامة ووصفه بالقوة سبحانه.

قوله: ولو شاء الله ما اقتتلوا: أي لا يجري في ملكه إلا ما شاء سبحانه، فهذه الآية فيها إثبات المشيئة لله سبحانه، فكل ما وجد فهو بمشيئة الله لا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه، وهذا يبطل قول المعتزلة، لأنه أخبر أنه لو شاء أنَّ لا يقتتلوا لم يقتتلوا، والمعتزلة يقولون شاء أنَّ لا يقتتلوا فاقتتلوا.

وقوله: ولكن الله يفعل ما يريد: فيه إثبات الفعل حقيقة لله، كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه لم يزل فعَّالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال، وفي هذا أنه سبحانه يفعل بإرادته ومشيئته، ولم يزل كذلك إذا أراد شيئاً فعله، وما فعله فقد أراده بخلاف المخلوق فما ثمَّ فعَّال لما يريد إلا الله تعالى.

قوله: إن الله يحكم ما يريد: أي يحكم ما يريد من التحليل والتحريم، لا اعتراض عليه، فهو الحكم سبحانه والحكيم لا حاكم غيره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

ففي هذه الآية إثبات صفة الحكم لله تعالى، **والحكم كوني**: كما في قوله: (**أو يحكم الله لي**)، **وشرعي**: كما في هذه الآية (**إن الله يحكم ما يريد**).

قوله: ما يريد: فيه إثبات الإرادة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله، وأنه سبحانه لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم، وأما إرادة الشيء المعين فهو ما يريده في وقته.

والإرادة إرادة كونية قدرية، وهذه مرادفة للمشيئة، أي يريد الله سبحانه أنَّ يفعل هو سبحانه، وهذه الإرادة هي المتعلقة بالخلق.

وإرادة شرعية دينية، وهذه الإرادة المتعلقة بالأمر، وهي أنَّ يريد من عبده أنَّ يفعل، وهذه مرادفة للمحبة والرضا، فتجتمع الإرادتان في حق المخلص المطيع، وتنفرد الإرادة الكونية في حق العاصي، ومن لم يفرق بين النوعين فقد ضل كالجهمية والقدرية، فالمحبة والرضا أخص من الإرادة، خلافاً للمعتزلة، وأكثر الأشاعرة يقولون: إنّ المحبة والرضا والإرادة سواء، وأما أهل السُّنة فيقولون: أنَّ الله تعالى لا يحب الكفر والفسوق ولا يرضاه وإن كان قد أراده كوناً وقدراً، فلذا لا يقولون إنَّ المحبة والإرادة سواء فقد يريد سبحانه الشيء كوناً وهو لا يحبه.

قوله: فمن يرد الله أنَّ يهديه: أي من أراد الله هدايته شرح صدره ووفقه وجعل قلبه قابلاً للخير، وهداية القلوب لا تطلب إلا من الله سبحانه.

قوله: يشرح صدره للإسلام: أي يوسع قلبه للإيمان، بأن يقذف في قلبه

نوراً فينفسح له، ويقبله.

قوله: ومن يرد أنَّ يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً: أي ومن أراد سبحانه أنَّ يضله عن الهدى يجعل صدره ضيقاً، أي عن قبول الإيمان، وحرجاً، أي شديد الضيق، فلا يبقى فيه منفذ للخير.

قوله: كأنما يصعد في السماء: لشدته عليه.

قوله: كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون: كما يجعل صدر من أراد اضلاله ضيقاً كذلك يسلط عليه الشيطان وعلى أمثاله ممن أبى الإيمان بالله ورسوله، فيغويه ويصده عن سبيل الله، قال ابن عباس: **الرجس:** الشيطان.

ففي هذه الآية إثبات صفة الإرادة لله تعالى، كما يليق بجلاله، والإرادة تنقسم إلى قسمين كونية وشرعية، وأما المشيئة فإنها لا تنقسم لأنها مرادفة للإرادة الكونية، فالأدلة دلت على الفرق بين المشيئة والمحبة والرضا، وأن من جمع بينهما فقد ضل لأنه جمع بين ما فرق الله بينه.

فالحق أنَّ الإرادة الكونية: هي المشيئة لما خلقه، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية، **وأما الإرادة الدينية الشرعية:** فهي المتضمنة للمحبة والرضا، المتناولة لجميع ما أمر به، وجعله شرعاً وديناً، وهذه مختصة بالإيمان والعمل الصالح، واعلم أنَّ منشأ ضلال من ضل

في هذا: هو التسوية بين المشيئة والإرادة، وبين المحبة والرضا، فسوى بينهما الجبرية والقدرية، **فقالت الجبرية:** الكون كله بقضائه وقدره، فيكون محبوباً مرضياً، وهذا القول باطل، **وقالت القدرية النفاة:** ليست المعاصي محبوبة له ولا مرضية، فليست مقدرة ولا مقضية، فهي خارجة عن مشيئته وخلقه، وهذا أيضاً قول باطل، والحق هو الفرق بين المشيئة والمحبة.

ولذا فإنَّ المصنف رحمه الله لما ذكر الآيات الدالة على إثبات المشيئة والإرادة، ذكر بعد ذلك الآيات التي فيها إثبات المحبة والرضا، إشارةً إلى الرد على من زعم التسوية بين المحبة والرضا والمشيئة، ولا شك أنَّ هذا القول قول باطل وفاسد.

ثم ذكر المصنف رحمه الله أدلة المحبة بقوله سبحانه: ﴿**وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**﴾.

ففي هذه الآية دليل على أنَّ الله تعالى موصوف بالمحبة، ومحبته سبحانه على ما يليق بجلاله، وفيها دليل على أنه يحب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها، فهو محسن يحب المحسنين، ومؤمن يحب المؤمنين، وفيها أنَّ محبته سبحانه تتفاضل، فيحب بعض المؤمنين أكثر من بعض، وفيها دليل على إثبات فعل العبد وكسبه، وأنه يثاب على حسنه ويعاقب على سيئه.

قوله: وأقسطوا إن الله يحب المقسطين: أي إعدلوا في معاملاتكم، وأحكامكم مع القريب والبعيد، فمعنى أقسط: عدل، وأما قَسِط فمعناه: جار، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾.

وقوله سبحانه: فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين: ففي هذه الآية والتي قبلها إثبات صفة المحبة، والتقوى: كلمة جامعة لفعل المأمورات، وترك المنهيات.

قوله: إن الله يحب التوابين: التوبة لغة: الرجوع. **وشرعاً:** الرجوع عن الذنب، وهي واجبة من جميع الذنوب على الفور، ففي هذه الآية إثبات صفة المحبة كما تقدم.

قوله: ويحب المتطهرين: أي من الذنوب والمعاصي، ومن الأحداث والنجاسات.

قوله سبحانه: قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم: ففي هذه الآية إثبات صفة المحبة، وأن الله سبحانه يُحِبُ ويُحَب، خلافاً للجهمية والمعتزلة فإنه عندهم لا يُحِبُ ولا يُحَب، فأولوا نصوص محبة العباد له على محبة طاعته وعبادته، وأولوا نصوص محبته لهم بإحسانه إليهم، وإعطائهم الثواب، ولا شك أنَّ تأويل ذلك مخالف لنصوص الكتاب والسُّنة، فهو قول باطل، والصواب إثبات أنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ يحب على

ما يليق بجلاله وأنه يُحَبُ سبحانه وتعالى.

قوله: من يَرْتَد منكم عن دينه: أي يرجع، وهو الذي يكفر بعد إسلامه نطقاً أو اعتقاداً أو شكاً أو فعلاً، نعوذ بالله من ذلك ونسأله أنَّ يثبتنا على الإسلام، وأن يميتنا على الإيمان.

قوله: فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم: أي من تولى عن نصرة دينه وإقامة شريعته فإنَّ الله يستبدل به من هو خير منه وأقوم سبيلا، ففي هذه الآية إثبات أنَّ الله سبحانه وتعالى يُحِبُ ويُحَب.

قوله: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص: أي يجاهدون في سبيله، وفي هذه الآية أيضاً إثبات المحبة لله سبحانه وتعالى وهو قول جميع السلف، وأنكرت الجهمية حقيقة المحبة من الجانبين، زعماً منهم أنَّ المحبة لا تكون إلا لمناسبة بين المحب والمحبوب، وأنه لا مناسبة بين القديم والمحدث توجب المحبة على زعمهم، وهذا القول باطل ترده أدلة الكتاب والسُّنة.

قوله: وهو الغفور: المغفرة محو الذنب وإزالة أثره ووقاية شره.

قوله: الودود: أي المتودد إلى عباده بنعمه، الذي يود من تاب إليه

وأقبل عليه، وهو أيضاً الودود، أي المحبوب، وهو سبحانه واداً لأوليائه، ومودود لهم.

قوله: بسم الله الرحمن الرحيم: الباء في بسم الله للاستعانة والتبرك، ولفظ الجلالة مشتق من أله، ومعنى كونه مشتقا أنه دال على صفة هي الألوهية كسائر أسمائه الحسنى.

وقوله: الرحمن الرحيم: اسمان وصفتان لله سبحانه وتعالى مشتقتان من الرحمة، والرحمن خاص بالله سبحانه وتعالى لا يسمى به غيره ولا يوصف، بخلاف الرحيم يوصف به غيره سبحانه ، فيقال رجل رحيم، والرحمة صفة من صفات الله اللائقة بجلاله وعظمته، فيجب الإيمان بذلك، بخلاف ما عليه أهل البدع، الذين نفوا هذه الصفة وأولوها، كمن يؤولها بالإنعام، أو بإرادة الإنعام، إلى غير ذلك من التأويلات الفاسدة المردودة.

قوله: ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً: هذه الآية فيها دليل على إثبات رحمته سبحانه ودليل على سعتها وشمولها، روى الإمام أحمد عن أبي عثمان، عن النبي ﷺ قال: **(إن لله مائة رحمة، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق، وبها تعطف الوحوش على أولادها، وأخَّر تسعة وتسعين إلى يوم القيامة).** ورواه مسلم أيضاً.

وقوله سبحانه: وكان بالمؤمنين رحيماً: هذه الآية فيها إثبات الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

قوله: ورحمتي وسعت كل شيء: وهذه الآية فيها إثبات الرحمة وشمولها، فرحمته سبحانه عمت وشملت كل شيء في الدنيا البر والفاجر، وهي يوم القيامة للمتقين خاصة.

قوله سبحانه: كتب ربكم على نفسه الرحمة: أي أنه سبحانه أوجبها على نفسه تفضلاً منه وإحساناً، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: (**إن الله لما خلق الخلق كتب كتاباً عنده فوق العرش إن رحمتي تغلب غضبي**)، الحديث، والكتاب المذكور في الآية هو الإيجاب على نفسه سبحانه وكذلك ما ورد في حديث معاذ: (**وحق العباد على الله**) فإنه تفضل وإحسان منه سبحانه على عباده، وإلا فليس للعباد حق واجب كحق المخلوق على المخلوق، كما تزعمه المعتزلة، فإنَّ المعتزلة تزعم: أنه واجب عليه بالقياس على المخلوق، ولا شك أنَّ قولهم هذا قول باطل مخالف لما دلت عليه نصوص الكتاب والسُّنة، وهو أنَّ العبد لا يستوجب على الله بسعيه نجاة، ولا فلاحاً، ولا حقاً، وأما كون المطيع يستحق الجزاء فهو استحقاق إنعام وفضل، وليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق، وهذا كما في الحديث: (**لو عذب الله أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت**

رحمته خيراً لهم) رواه أحمد وابن حبان، وقال شعيب: اسناده قوي وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه، وكذلك قوله في الحديث: **(ليس أحد منكم يدخل الجنة بعمله)**، وهذا الحديث لا ينافي قوله: **(جزاء بما كانوا يعملون)** فإنَّ الرسول ﷺ نفى باء المقابلة والمعادلة، والقرآن أثبت باء السبب، **فالمنفي**: استحقاقها بمجرد الأعمال وكون الأعمال ثمناً وعوضاً لها كما تزعمه المعتزلة، والمثبت كونها سبباً لدخول الجنة بتوفيق من الله وهدايته.

وقوله: فالله خيرٌ حافظاً وهو أرحم الراحمين: في هذه الآية أنَّ من أسمائه سبحانه وتعالى الحفيظ، وحفظه سبحانه عام، وخاص.

فالعام: حفظه لجميع المخلوقات.

والخاص: حفظه لأوليائه.

وقد أفادت هذه الآيات إثبات صفة الرحمة، وأنها حقيقة وليست مجازاً، وهذا عكس ما عليه الجهمية وأمثالهم الذين نفوا رحمته سبحانه، وزعموا أنها مجاز، وقولهم هذا قول باطل، لأنه من الإلحاد في أسماء الله وصفاته، فإنَّ الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه هذه الصفات ووصف نفسه بها، كما وصف بعض خلقه بهذه الصفات، ولكن ليست رحمته سبحانه كرحمة المخلوق، لأنه الله سبحانه **(ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)**.

قوله: رضي الله عنهم ورضوا عنه: في هذه الآية إثبات صفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ، ولا يقال: الرضا إرادة الإحسان، والغضب إرادة الانتقام، كما يزعمه من ضل وأوّل وابتدع، فإنَّ هذا نفي للصفة وصرف للقرآن عن ظاهره وحقيقته وهذا لا يجوز، بل الحق إثبات صفة الرضا لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته، وفي هذه الآية إثبات أفعال الله الاختيارية وإثبات فعل العبد وأن له فعلاً اختيارياً.

وقوله سبحانه وتعالى: ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً: في هذه الآية دليل على إثبات الغضب لله، وأنه سبحانه يغضب كما أنه يرضى على ما يليق بجلاله وعظمته.

قوله: ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه: في هذه الآية إثبات صفة السخط والرضا لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته، وأنه سبحانه وتعالى يسخط ويرضى حقيقة، كما يليق بجلاله وعظمته، وفيها إثبات العلل والأسباب، وأنَّ الأعمال الصالحة سبب للسَّعادة، والأعمال السيئة سبب للشَّقاوة، ففيهما الرد على من زعم: أنه لا ارتباط بين العمل والجزاء.

وقوله تعالى: فلما آسفونا انتقمنا منهم:

قوله: **آسفونا**: أي أغضبونا.

وقوله: **انتقمنا منهم**: أي عاقبهم الله سبحانه بالغرق وغيره، من العقوبات، والانتقام هو أنَّ يبلغ في العقوبة حدها.

وقوله: **ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم**: أي خروجهم معكم إلى الغزو، وفيها اثبات الكراهة لله على ما يليق بجلاله وعظمته.

وقوله: **كبر مقتاً عند الله أنَّ تقولوا ما لا تفعلون**: في هذه الآية دليل على إثبات صفة البغض لله عَزَّوَجَلَّ على ما يليق بجلاله وعظمته، وفيها دليل على أنَّ بغضه سبحانه وتعالى يتفاوت، فبعضه أشدُّ من بعض، كما في الحديث: (**إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله، ولن يغضب بعده مثله**) والمقت أشد البغض، ففي هذه الآية والآيات المتقدمة دليل على صفة الغضب والرضا، والبغض والسخط والكراهة، وهذا هو مذهب السلف الصالح وسائر الأئمة يثبتون جميع ما في الكتاب والسُّنة على المعنى اللائق به سبحانه وتعالى.

وقوله: **هل ينظرون إلا أنَّ يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور، وقوله تعالى هل ينظرون إلا أنَّ تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك**:

قوله: إلا أنَّ يأتيهم الله: أي لفصل القضاء بينهم يوم القيامة، فيجزي كل عامل بعمله إن خيراً فخير، وإن شراً فشر.

وقوله: في ظلل من الغمام: أي السحاب الأبيض الرقيق، سمي غماماً؛ لأنه يغم، أي يستر.

قوله: والملائكة: أي والملائكة يجيئون في ظلل من الغمام، ففيه إثبات مجيء الملائكة يوم القيامة لأنهم يحيطون بالإنس والجن، ثم ينزل الله سبحانه لفصل القضاء بينهم على ما يليق بجلالته وعظمته، ونزوله إلى الأرض يوم القيامة تواترت به الأحاديث والآثار، ودل عليه القرآن صريحاً، كما في هذه الآيات.

وقوله: كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفاً صفاً، وقوله: ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً: هذه الآية فيها إثبات المجيء لله سبحانه على ما يليق بجلالة وعظمته.

والإتيان والمجيء المضاف إليه سبحانه نوعان: مقيد ومطلق، المقيد إذا قيد بمجيء رحمته أو عذابه ونحو ذلك كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَى عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ**﴾، وكما جاء في الحديث: (**حتى جاء الله بالرحمة والخير**) فهذا ليس من أحاديث الصفات، وأما

الإتيان والمجيء المطلق فلا يكون إلا بمجيئه سبحانه حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، ولا يجوز تأويله ولا تحريفه كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللهُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾.

وقد أفادت هذه الآيات إثبات أفعاله الاختيارية، فالإتيان والنزول والمجيء والاستواء كلها من أنواع أفعاله، وأفعالُهُ كصفاته قائمةً به سبحانه وتعالى، وأفعاله سبحانه: نوعان: لازمة، ومتعدية، كما دلت على ذلك النصوص، وهي حقيقة لا مجاز فيها على ما يليق به سبحانه وتعالى.

وقوله: **كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام:** فيها إثبات صفة الوجه لله تعالى، وهو من الصفات الذاتية كالسمع والبصر واليدين وغير ذلك من الصفات على ما يليق به سبحانه وتعالى.

قوله: **ذو الجلال والإكرام:** أي ذو العظمة والكبرياء.

قوله: **كل شيء هالك إلا وجهه:** أي أنَّ جميع أهل الأرض وأهل السماء سيموتون ويذهبون إلا من شاء الله، ولا يبقى إلا الله سبحانه وتعالى، والمستثنى من الهلاك والفناء ثمانية، نظمها السيوطي بقوله:

ثمانيةٌ حُكْمُ البقاءِ يَعُمُّهَا

مِنَ الخلْقِ والبَاقونَ في حيِّزِ العَدَمِ

هي العَرشُ والكرسِيُّ نارٌ وجنَّةٌ

وعجبٌ وأرواحٌ كذا اللَّوحُ والقلمُ

وأما قوله: (**كل شيء هالك**)، وقوله: (**كل من عليها فان**) فإنَّ المراد كل شيء كتب عليه الفناء والهلاك هالك، والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء، وكذا العرش فإنه سقف الجنة والكرسي وعجب الذنب والارواح واللوح والقلم، فإنَّ عموم (**كل**) في كل مقام بحسبه، ويعرف ذلك بالقرائن كقوله: (**تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم**) ومساكنهم شيء لم تدخل في عموم كل شيء؛ لأن المراد تدمر كل شيء يقبل التدمير بالريح عادة، وكقوله عن بلقيس: (**وأوتيت من كل شيء**) فالمراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك، وهذا القيد يفهم من قرائن الكلام، إذ المراد أنها ملكة تامة الملك.

ففي هذه الآيات إثبات صفة الوجه لله سبحانه وتعالى، كما يليق بجلاله وعظمته، وإثبات أنه وجه حقيقة لا يشبه وجوه خلقه، لأنه ليس كمثله شيء، وهذا ما عليه أهل السُّنة، خلافاً للمبتدعة من الجهمية وأشباههم، ممن نفى الوجه وعطَّله، وزعم أنه مجاز عن الذات، أو الثواب أو الجهة أو غير ذلك، وهذه تأويلات باطلة والحق إثبات الوجه لله سبحانه على ما

يليق بجلالة وعظمته.

قوله: ما منعك أنَّ تسجد لما خلقت بيدي: في هذه الآية إثبات اليدين لله سبحانه وتعالى، وأنهما يدان حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته، وفيها الرد على من زعم أنَّ المراد باليد القدرة أو النعمة كما تقوله الجهمية والمعتزلة وأشباههم، ولا شك أنَّ قولهم باطل ومردود، لأن لفظ اليد ورد في الكتاب والسُّنة وفي كلام الصحابة والتابعين وأنَّ الله عَزَّوَجَلَّ له يدان حقيقيتان على ما يليق بجلاله وعظمته.

قوله: وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء:

قوله: بل يداه مبسوطتان: هذه الآية كسابقتها فيها إثبات صفة اليدين لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

وقوله: واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا: أي بمرأى منا، وتحت حفظنا وكلاءتنا.

وقوله: وحملناه على ذات ألواح ودسر. تجري بأعيننا: أي بأمرنا وبمرأى منا وبحفظنا وكلاءتنا.

وقوله: ولتصنع على عيني: أي بمرأى ومنظر منّا.

ففي هذه الآيات إثبات صفة العينين لله سبحانه وتعالى، كما يليق بجلاله وعظمته، فيجب على المؤمن أنَّ يثبت ما أثبته الله لنفسه.

وقوله: قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها: أي تراجعك أيها النبي في شأن زوجها، وهي خولة بنت ثعلبة، وزوجها أوس بن الصامت، وذلك حين ظاهر منها.

وقوله: وتشتكي: أي تظهر ما بها من المكروه، تقول: أشكوا إلى الله فاقتي ووحدتي وإن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا وجعلت ترفع رأسها إلى السماء وتقول: اللهم أشكوا إليك.

وقوله: والله يسمع تحاوركما: أي مراجعتكما الكلام.

وقوله: إن الله سميع بصير: أي أحاط سمعه بجميع المسموعات، وبصره بجميع المبصرات، فلا يخفى عليه خافية، ففي هذه الآية إثبات السمع والبصر لله سبحانه وتعالى، وأنه سبحانه سميع وبصير، أحاط سمعه بجميع المسموعات، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة تشتكي إلى رسول الله ﷺ وأنا

في جانب الحجرة يخفى علي بعض كلامها فأنزل الله قوله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾.

قوله: لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا: أفادت هذه الآية إثبات صفة السمع لله كما يليق بجلاله، وفي قوله: (لقد سمع الله) تحذير وتخويف، فإنه ليس المراد الإخبار بالسمع فقط، ولكنه مع ذلك الإخبار بما يترتب على ذلك من المجازاة بالعدل.

وقوله: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون: السرُّ: هو حديث الإنسان نفسه، وأما النجوى ما يتحدث به الإنسان مع رفيقه ويخفيه عن غيره، فهو سبحانه السميع الذي أحاط سمعه بجميع المسموعات.

وفي هذه الآية إثبات السمع لله تعالى، وفيها التحذير والتخويف كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ الآية، وفيها ما يترتب على ذلك من الجزاء والعدل.

وقوله: إنني معكما أسمع وأرى: أي أسمع كلامكما وكلامه وأرى مكانكما ومكانه، ولا يخفى علي شيء من أمركم، ومعية الله لخلقه خاصة وعامة، فالعامة هي معية العلم والإحاطة، كقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ﴾، والخاصة هي التي تقتضي الحفظ والنصر والتأييد والإعانة،

كقوله: ﴿**كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾، وقول النبي ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه: **(ما ظنك باثنين الله ثالثهما)**.

وفي هذه الآية إثبات صفة السمع والرؤية لله عز وجل، ولو قال قائل كيف يسمع قلنا: السمع معلوم والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

وقوله: **ألم يعلم بأن الله يرى**: أي أما علم هذا الناهي عن الهدى أنَّ الله يراه ويسمع كلامه وسيجازيه على فعله، وهذا وعيد شديد، وفيها إثبات الرؤية لله على ما يليق بجلاله.

قوله: **الذي يراك**: أي يبصرك وينظر إليك لا تخفى عليه خافية، فتوكل عليه فإنه سيحفظك وينصرك.

قوله: **حين تقوم**: أي يراك حين تقوم للصلاة وغيرها.

قوله: **وتقلبك في الساجدين**: أي يرى تقلبك في الساجدين من قيام وقعود وركوع وسجود، في هذه الآية إثبات صفة السمع والبصر لله على ما يليق بجلاله وعظمته، وفيه فضيلة صلاة الجماعة ووجوبها.

وقوله: **وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون**: أي قل لهؤلاء المنافقين:

اعملوا ما شئتم من قول وعمل واعتقاد، ولا تحسبوا أنَّ ذلك يخفى على الله سبحانه، وهذا وعيد شديد لمن خالف أوامره سبحانه.

قوله: فسيرى الله عملكم: أي أنَّ الله سبحانه يرى عملكم، وقد يظهر أعمالكم للناس في الدنيا، وهذا وعيد لهم، وهو كائن لا محالة يوم القيامة، كما قال سبحانه: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾. وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد مرفوعاً: **(لو أنَّ أحدكم يعمل في صخرة ليس لها باب ولا منفذ لأخرج الله عمله للناس كائنا ما كان)** قال الحاكم صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وضعفه بعضهم.

وقوله: وهو شديد المحال: يعني شديد الأخذ، وروي شديد القوة.

وقوله: ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين:

قوله: ومكر الله: أي جازاهم على مكرهم.

قوله: والله خير الماكرين: أي أقوى المجازين وأقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المُعَاقَب.

وقوله: ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون:

قوله: ومكروا: أي دبروا أمرهم على قتل صالح عليه السلام وأهله على وجه الخفية.

قوله: ومكرنا مكرا: أي بنصر نبينا صالح عليه السلام، وإهلاك قومه المكذبين.

ومعنى المكر من الله أي أنه سبحانه يستدرجهم بالنعم إذا عصوه، ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر، وهذا معنى المكر والخديعة ونحو ذلك أي المجازة بمثل ما صنعوا.

وقوله: **إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا**:

قوله: وأكيد كيدا: أي أجازيهم على كيدهم، والكيد استدراجهم كما في قوله تعالى: ﴿**سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ**﴾، والله سبحانه وتعالى لم يصف نفسه بالكيد والمكر والخداع والاستهزاء مطلقا، فإنَّ هذه الأفعال ليست ممدوحة مطلقا، فلا يجوز إطلاق أفعالها على الله سبحانه وتعالى، لأنه سبحانه لم يصف نفسه بذلك إلا على وجه الجزاء لمن فعل ذلك بغير حق.

وقوله: **إن تبدوا خيراً أو تخفوه أو تعفو عن سوء فإنَّ الله كان عفوا قديراً**:

قوله: عفواً: معناه ذو العفو، وهو ترك المؤاخذة على ارتكاب الذنب، وهو أبلغ من المغفرة، فإنها مشتقة من الغفر وهو الستر، وأما العفو فهو إزالة الأثر، ومنه عفت الديار. قال ابن القيم في النونية:

وهُوَ العفوُّ فعفوُه وسِعَ الورَى

لولاهُ غارَ الأرضُ بالسُّكَّانِ

قوله: قديراً: أي قادراً على كل شيء.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: فمن جعل شيئاً من الأعمال خارجاً عن قدرته ومشيئته فقد ألحد في أسمائه وآياته.

وقوله: وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أنَّ يغفر الله لكم والله غفور رحيم:

قوله: وليعفوا وليصفحوا: العفو: الستر و التجاوز، والصفح: مشتق من صفحة العنق، وهو أنَّ يعرض عن عقاب المذنب وعتابه، وكأنه ولاه صفحة عنقه، وهو أبلغ من العفو؛ لأن الصفح لا لوم فيه ولا تثريب.

ففي هذه الآية إثبات فعل العبد وأنه الفاعل حقيقة، والرد على المُجْبِرة الذين يزعمون أنَّ العبد لا فعل له، وإنما ينسب إليه الفعل على جهة المجاز، ولو كان الأمر كما يزعمون لم يؤمر العبد، ولم ينسب إليه الفعل، ولم يعاقب على سوء، فقولهم باطل ترده أدلة الكتاب والسُّنة، بل الفطرة والعقل.

وقوله: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين:

قوله: ولله العزة: يعني الغلبة والقدرة، ففي هذه الآية إثبات العزة لله سبحانه وتعالى الكاملة من جميع الوجوه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، فاسمه العزيز يتضمن كمال قدرته وقوته وقهره.

قال ابن القيم في النونية:

وهـو العزيزُ فَلَـنْ يُـرامَ جنابُه

أنَّـى يُـرامُ جنـابُ ذي السُلطانِ

وهو العزيـزُ القاهِـرُ الغـلاَّبُ لـمْ

يـغـلـبْـهُ شـيءٌ، هـذه صِـفـتـانِ

وهـو العزيــزُ بقـوَّةٍ هـي وصفهُ

فـالـعِـزُّ حـيـنـئـذٍ ثـلاثُ معـانِ

وهـي الَّتـي كَمُلَـتْ لـه سُبْحَانَـهُ

مِـن كلِّ وجـهٍ عـادمِ النُّقصـانِ

وقوله عن إبليس: **فبعزتك لأغوينهم أجمعين:** في هذه الآية إثبات العزة لله سبحانه، والعزة المضافة إليه سبحانه قسمان:

قسم يضاف إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، وهي العزة المخلوقة التي يعز بها أنبياءه وعباده الصالحين.

وقسم يضاف إليه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، كما في هذه الآية، وكما في الحديث: (**أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر**)، فهذه صفة من صفات الله غير مخلوقه.

وقوله: تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام:

قوله: تبارك: أي تعاظم وتقدَّس وتعالى وتنزَّه وكثرت خيراته وعمّت بركاته سبحانه، وتبارك خاصة بالله سبحانه، كما أطلقها على نفسه.

وهي التي تضاف إليه سبحانه، والفعل منها تبارك، فلا يقال لغيره ذلك ولا يصلح إلا له سبحانه، كما قال الله عن المسيح: ﴿**وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنتُ**﴾ فهو سبحانه المتبارك والمُبارِكُ ورسوله المبَارَكُ، وأما التي هي فعله، والفعل منها بارك، والمفعول منها مبارك، وهو ما جعله فيها فكان مباركاً فيجوز أنَّ يقال هذا مبارك.

وقوله: فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سميّا:

قوله: فاعبده: أي أفرده بالعبادة ولا تعبد معه غيره.

وقوله: هل تعلم له سميّا: أي هل تعلم له مسامياً ومشابهاً ومماثلاً من

المخلوقين وهذا استفهام بمعنى النفي، أي: لا تعلم له مشابها؛ لأنه الرب وغيره المربوب، الغني من جميع الوجوه، وغيره الفقير، الكامل الذي له الكمال المطلق من جميع الوجوه، وغيره ناقص من جميع الوجوه، فهذا البرهان القاطع على أنه المستحق للعبادة، وأن عبادة غيره باطلة، وفي هذه الآية دليل على أنه لا مثل له ولا شبيه ولا نظير له، لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفيه دليل على نفي المثلية، ولو اتفق الاسم لفظاً.

قوله: ولم يكن له كفوا أحد: أي: ليس له كفو ولا مثل.

قوله: فلا تجعلوا لله أنداداً: أي أمثالاً ونظراء تساوونهم به في المحبة والتعظيم.

قوله: وأنتم تعلمون: أنه ربكم وخالقكم وخالق كل شيء، فكيف تجعلون له أنداداً وقد علمتم أنه لا يشاركه أحد في أفعاله، ففي هذه الآية الرد على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه، والذين يشبهون خلقه به، كعَبَدةِ الأوثان، وفيه الرد على القدرية الذين يزعمون أنَّ العبد يخلق فعل نفسه استقلالاً بدون مشيئة الله، فيكون شريكاً لله سبحانه وتعالى ونداً على قولهم، وفيها الرد على المعطلة الذين نفوا صفات الله فراراً من التشبيه فشبهوه بالمعدومات والناقصات، وفيه دليل على أنَّ معرفة الله والإقرار به فطري ضروري، فطر الله عليه العباد، وإن كان بعض الناس قد يحصل

له ما يفسد فطرته.

قوله: ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله: أي يسوونهم بالله في المحبة والتعظيم، ومحبة الله سبحانه من أصول دين الإسلام وبكمالها يكمل، فصرفها لغير الله شرك أكبر، لأن المحبة الشركية هي المستلزمة للخوف والتعظيم والإجلال للمخلوق مع الخالق سبحانه.

قوله: والذين آمنوا أشد حبا لله: أي من أصحاب الأنداد لأندادهم، والمعنى والذين آمنوا أشد حباً لله من محبة أهل الأنداد لله؛ لأن محبة المؤمنين لله خالصة ومحبة المشركين لله مشتركة، ففي هذه الآية إثبات أنَّ المؤمنين يحبون الله عَزَّوَجَلَّ.

وقوله: وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا:

قوله: وقل الحمد لله: أي أنَّ الحمد كله لله، فهو المستحق للحمد لما اتصف به من صفات الكمال، والله جَلَّوَعَلَا يُحمد على إحسانه إلى عباده ويُحمد لما يستحقه من نعوت كماله.

قوله: الذي لم يتخذ ولداً: هذا رد على اليهود والنصارى والمشركين، فإنَّ النصارى يقولون المسيح ابن الله، واليهود يقولون العزير ابن الله،

والمشركون يقولون الملائكة بنات الله.

قوله: ولم يكن له شريك في الملك: هذا فيه رَدٌّ على المجوس والمشركين والقدرية.

وقوله تعالى: يسبح لله ما في السماوات وما في الأرض له المُلك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير:

قوله: يسبح لله: أي أنَّ جميع من في السموات والأرض من المخلوقات ناطقها وجامدها يسبح الله أي ينزهه ويعظمه عما لا يليق بجلاله وعظمته، فالتسبيح يقتضي التنزيه لله والتعظيم وإثبات صفات الكمال لله سبحانه.

وتسبيح الجمادات على حقيقته، لأن الأصل في الكلام الحقيقة، وكلامه أي الجماد بما أنطقه الله به على حسب حاله كما قال سبحانه عن الجلود: ﴿**أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾.

وكما في الحديث: أنَّ النبي ﷺ لما خطب على المنبر حنَّ الجذع الذي كان يخطب عليه سابقاً، وكذلك ما ورد من تسبيح الحصى وسلام الحجر على النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿**وَإِن مِّنْ شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لاَ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**﴾.

وقوله: تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. الذي

له ملك السماوات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً:

قوله: تبارك: أي من البركة وهو لغة: النماء والزيادة، وتبارك فعل مختص بالله، ومعناه تعاظم.

قوله: الذي نَزَّل الفرقان: أي القرآن.

قوله: على عبده: أي على عبده ورسوله محمد ﷺ.

قوله: ليكون للعالمين نذيراً: أي منذراً، وقوله: **للعالمين:** المراد بالعالمين هنا: الجن والإنس.

قوله: الذي له ملك السماوات والأرض: أي له التصرف فيهما، والجميع خلقه.

قوله: ولم يتخذ ولداً: أي لكمال غناه وقيامه بنفسه وحاجة كل شيء إليه.

قوله: وخلق كل شيء: أي أوجد وأنشأ وأبدع، فيدخل في ذلك أفعال العبد، فهي خلق لله وفعلُ لِلعَبد، ولا يدخل في ذلك أسماءُ الله وصفاته؛ لأن الأسماء والصفات تابعة للذات.

قوله: فقدره تقديراً: أي قدَّر رزقه وأجله وعمله وحياته وموته وما يصلح له، ففيه دليل على الإيمان بالقدر، ودليل على سبق علم الله بالأشياء، وكتابتها.

وقوله: **ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون:**

قوله: ما اتخذ الله من ولد: أي لأنه منزه عن المثل والشبيه والنظير، فلم يتخذ ولدا لكمال صمديته وغناه وملكه وتَعَبدِ كلِ شيءٍ له، فاتخاذ الولد ينافي ذلك، ففي الآية الرد على من زعم أنَّ له ولداً سبحانه، كاليهود والنصارى والمشركين.

قوله: وما كان معه من إله: أي ليس معه سبحانه شريك في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

قوله: إذاً لذهب كل إله بما خلق: أي لو كان معه إله لذهب كل إله بما خلق، أي انفرد به.

قوله: ولعلا بعضهم على بعض: أي لو كان معه إله لعلا بعضهم على بعض مغالبة، كملوك الدنيا.

وقوله: **سبحان الله عما يصفون:** أي تنزيه لله سبحانه عما يصفه به

المخالفون للرسل عليهم السلام.

وقوله: عالم الغيب والشهادة: أي يعلم ما غاب عن العباد وما شاهدوه، والغيب مطلق، ومقيد.

فالمطلق: لا يعلمه إلا الله، وهو ما غاب عن جميع المخلوقين فلم يعلموه الذي قال الله فيه: ﴿**قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾، وروى البخاري مرفوعاً **والغيب المقيد:** ما علمه بعض المخلوقين، فيكون غيب مقيد عمن غاب عنه.

قوله: فتعالى الله عما يشركون: فتعالى أي علا وتنزه وتقدس عما لا يليق بجلاله، من الشريك والمثيل والنظير، وتنزه عن النقائص والعيوب.

قوله: فلا تضربوا لله الأمثال: وضرب المثل هو تشبيه حال بحال، فلا يمثل سبحانه وتعالى بخلقه، ولا يشبه بهم سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه لا مثل له، ولا ند له لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته ولا في أفعاله، **(فلا تضربوا لله الأمثال)**: يعني: الأشباه فتشبهونه بخلقه، وتجعلون له شريكاً.

قوله: إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون: أي أنه سبحانه يعلم أنه لا مثل له ولا ند له، وأنه الإله الحق.

قوله: قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي

بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون:

قوله: **قل إنما حرم ربي الفواحش: الفواحش**: هي جمع فاحشة، وهو ما استعظم من الذنوب والمعاصي كالزنا واللواط وقتل النفس ونحو ذلك، سماه الله فاحشة لتناهي قبحه.

قوله: **ما ظهر منها وما بطن:** أي ما أعلن منها وما أسر.

قوله: **والإثم: أي الذنب** تعميم بعد تخصيص، وقيل المراد بالإثم: الخمر كما قال الشاعر:

شربتُ الإثمَ حتَّى ضَلَّ عقلي

كذاك الإثمُ تذهبُ بالعُقولِ

قوله: **والبغي:** هو التعدي على الناس.

قوله: **وأن تشركوا بالله:** أي تصرفوا شيئاً من حق الله سبحانه إلى غيره.

قوله: **ما لم ينزل به سلطانا:** أي برهاناً وحجة، بل أنزل سبحانه البرهان والحجة في تحريمه.

قوله: **وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**: أي وأن تقولوا على الله من الافتراء والكذب ما لا علم لكم به.

وقوله: **الرحمن على العرش استوى، في سبعة مواضع في سورة الأعراف: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وفي سورة يونس: إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، وفي سورة الرعد: الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش، وفي سورة طه: الرحمن على العرش استوى، وفي سورة الفرقان: ثم استوى على العرش الرحمن، وفي سورة آلم السجدة: الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش، وفي سورة الحديد: هو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**:

قوله: **في سبعة مواضع**: أي أنَّ ما ذُكر من إستواءِ الله على عرشه نصٌ في معناه لا يحتمل التأويل، وصريح في أنَّه بذاته استوى استواءً يليق بجلاله وعظمته.

قوله: **الذي خلق السماوات والأرض**: خلق، أي أنشأ وأوجد.

قوله: **في ستة أيام**: أولها يوم الأحد وآخرها يوم الجمعة، وفيه اجتمع الخلق كلهم.

قوله: ثم استوى على العرش: أي استوى استواء يليق بجلاله وعظمته، بدون تكييف ولا تمثيل ولا يعلم كيف هو إلا هو سبحانه، كما أننا نعلم أنَّ لله ذاتاً لا تشبه الذوات، كذلك يجب أنَّ نثبت له صفاتاً لا تشبه الصفات.

قوله: العرش: العرش سرير ذو قوائم تحمله الملائكة، وهو سقف المخلوقات.

قال ابن القيم رحمه الله:

والنَّاسُ مختلفونَ في القلمِ الَّذي
كُتبَ القضاءُ به من الديَّانِ

هل كانَ قبلَ العرشِ أو هو بعدَه
قولان عندَ أبي العَلا الهمذانِي

والحقُّ أنَّ العرشَ قبلُ لأنَّه
قبلَ الكتابةِ كان ذا أركانِ

وكتابةُ القلمِ الشِّريفِ تعقَّبتْ
إيجادَه من غيرِ فصلِ زمانِ

ففي هذه الآيات إثبات الاستواء على العرش استواءً حقيقياً كما يليق بجلال الله وعظمته، وتضمنت إثبات العلو لله، وأفادت أنَّ الاستواء صفة فعل، وأنَّ الإِستواء خاص بالعرش، وأنَّ العرش مخلوق عظيم ذو قوائم وله حملة، خلافاً للمبتدعة الذين ينفون وجود العرش ويقولون عرشه ملكه، وهذا قول باطل، فعلى قول هؤلاء المبتدعة يكون قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ معناه ويحمل ملك ربك، وهذا قول باطل مردود، وأفادت أنَّ الأستواءَ على العرش بعد خلق السماوات والأرض، لأنه عقبَّه بـ (ثم) ، وأفادت الرد على الجهمية الذين يقولون: أنَّ معنى أستوى: إستولى؛ وهو قول باطل ومردود، لأنه تحريف وزيادة في كتاب الله وحمل له على غير ما يحتمل.

قوله: **يغشي الليل النهار يطلبه حثيثاً**: أي يغطي فيذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكل منهما يطلب الآخر حثيثاً أي سريعاً.

قوله: **والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره**: أي الجميع تحت قهره وتصريفه ومشيئته.

وقوله: **يا عيسى إني متوفيك**، وقوله: **ورافعك إلي**، وقوله: **بل رفعه الله إليه**:

في هذه الآيات دليل على علوه سبحانه على خلقه، وأدلة الاستواء كلها أدلة على إثبات العلو، **وينقسم العلو إلى ثلاثة أقسام:**

الأول: **علو القهر**. الثاني: **علو القدر**. الثالث: **علو الذات**، خلافاً للمبتدعة الذين ينكرون علو الذات.

وأدلة العلو عقلية ونقلية، فقد تواطأت أدلة السمع والعقل على إثباته، وكذلك قد فُطِر الخلقُ على إثباته، أما الأستواءُ فدليله سمعي فقط، وهو أيضاً صفة فعل.

قوله: يا عيسى إني متوفيك: أي قابضك من الأرض ورافعك إليَّ من غير موت، وذلك أنَّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يمت بحيث فارقت روحه بدنه، بل هو حي مع كونه توفي، والتوفي: الاستيفاء، وهو يصلح لتوفي النوم ولتوفي الموت الذي هو فراق الروح للبدن، ولم يذكر القبض الذي هو قبض الروح والبدن جميعاً.

قوله: ورافعك إليَّ: أي رفعه الله سبحانه إلى السماء وهو حي، كما قال: ﴿**وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾، والضمير في قوله: (قبل موته) عائد إلى عيسى، وذلك حين ينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة، ونزول عيسى ثابت وهو أحد أشراط الساعة الكبار، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**والذي نفسي بيده**

ليوشكنَّ أنَّ ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد). وفي رواية: **(حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)**، ففي هذه الآية دليل على علوه سبحانه على خلقه، إذ الرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

قوله: بل رفعه الله إليه: وهذه الآية كالآية السابقة دليل على أنَّ الله رفع عيسى عليه السلام إلى السماء، وفيها دليل على علوه سبحانه على خلقه.

وقوله: إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه:

قوله: إليه: أي إلى الله سبحانه. يصعد: أي يرتفع والصعود: الارتفاع، وأما أصعد يُصعد بالضم فمعناه: أبعد في الهروب، ومنه إذ تصعدون.

وقوله: الكلم الطيب: يعني الذكر والتلاوة والدعاء.

قوله: والعمل الصالح يرفعه: أي العمل الصالح يرفع الكلم الطيب، والعمل الصالح هو الخالص، يعني أنَّ الإخلاص سبب لقبول العمل، كما قال سبحانه: ﴿**فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا**﴾، ففي هذه الآية دليل على علو الله سبحانه وتعالى؛ لأن الصعود والرفع لا يكون إلا من أسفل إلى أعلى.

وقوله: وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب. أسباب

السماوات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً

ففي هذه الآية دليل على أنَّ موسى عليه السلام كان يقول إن ربه في السماء وفرعون يقول إني لأظنه كاذبا، فمن نفى العلو من الجهمية فقد تشبه به، وفيها دليل على إثبات علو الله سبحانه على خلقه، وعلو الله سبحانه على خلقه مما تواطأ على إثباته العقل والنقل وفطر الله عليه الخلق.

قال أبو عمرو الطلمنكي في كتاب الأصول: أجمع المسلمون من أهل السُّنة على أنَّ الله استوى على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قال: الله في السماء وعلمه في كل مكان، ثم قال في هذا الكتاب: أجمع المسلمون من أهل السُّنة أنَّ معنى قوله: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ ونحو ذلك من القرآن أنَّ ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه كيف شاء.

وقوله: ءأمنتم من في السماء أنَّ يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور. أم أمنتم من في السماء أنَّ يرسل عليكم حاصبا فستعلمون كيف نذير

قوله: ءأمنتم من الأمن، وهو ضد الخوف.

قوله: من في السماء أي أأمنتم عقاب من في السماء، وهو الله إن عصيتموه، (وفي) بمعنى (على)، وفي الآية دليل على إثبات العلو لله عزوجل.

قوله: أنَّ يخسف بكم: أي كما خسف بقارون، نعوذ بالله من عقابه.

قوله: فإذا هي تمور: أي تضطرب وتتحرك.

قوله: أم أمنتم من في السماء أنَّ يرسل عليكم حاصباً: أي ريحاً شديدة سميت بذلك لأنها ترمي الحصباء.

قوله: فستعلمون كيف نذير: أي إذا رأيتم ذلك علمتم كيف إنذاري حين لا ينفعكم العلم، وفي هذه الآية دلالة واضحة على علو الله سبحانه على خلقه، وقد تواترت في ذلك الأدلة واتفقت على إثبات العلو جميع الرسل، أي على علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات لله سبحانه، فله العلو الكامل من جميع الوجوه، قال الله تعالى: ﴿**يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ**﴾، وقوله: ﴿**وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾، وفي قوله: ﴿**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**﴾ الرد على الجهمية والمعتزلة الذين ينكرون فوقية الذات، ولا شك أنَّ قولهم باطل مخالف لنصوص الكتاب والسُّنة، نعوذ بالله منهم ومن قولهم.

وقوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾:

في هذه الآية إثبات الأفعال الاختيارية لله سبحانه وتعالى، وهي تنقسم إلى قسمين: لازمة كالأستواءِ والمجيءِ والنزول، ومتعدية كالخلق والرزق والإحياءِ والإماتة ونحو ذلك، فهو سبحانه موصوف بالنوعين وقد جمعهما في هذه الآية، وفيها بيان أنَّ الخلق غير المخلوق؛ لأن نفس خلقه السماوات والأرض غير السماوات والأرض، وفيها دليل على مباينة الرب سبحانه لخلقه، فإنه لم يخلقه في ذاته، بل خلقهم خارجاً عن ذاته، ثم بان عنهم باستوائه على عرشه، وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذ بصره فيهم ويحيط بهم علماً وقدرةً وإرادةً وسمعاً وبصراً، وهذا معنى كونه معهم أينما كانوا.

قوله: وهو معكم: أي معكم بعلمه، فعلمه سبحانه بهم وبصره نافذ فيهم، وهو سبحانه مطلع على خلقه لا يغيب عنه من أمورهم شيء، وقد جاءت المعية في القرآن عامة وخاصة، فالعامة كما في هذه الآية.

أما المعية الخاصة فكقوله: ﴿إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ فهو سبحانه مع المتقين دون الظالمين، فلو كان معنى المعية أنَّه في كل مكان بذاته لتناقض الخبر الخاص والعام، بل المعنى أنه مع هؤلاء بنصره وحفظه وتأييده دون أولئك.

وقد أخبر في هذه الآية وغيرها: أنه سبحانه مع خلقه مع كونه مستوياً

على عرشه بائناً من خلقه، وقرن بين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، فأخبر أنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه بعلمه، يبصر أعمالهم من فوق عرشه، ففي هذه الآية إثبات معية الله سبحانه لخلقه وأنَّها لا تناقض علوه واستواءَه على العرش، بل كلاهما حق.

وقوله: **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم:**

قوله: **ما يكون:** أي يوجد فكان تامة هنا.

قوله: **من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم:** النجوى إسرار ثلاثة.

قوله: **رابعهم:** العرب تقول: رابع أربعة وخامس خمسة إذا كان المضاف إليه من جنس المضاف، فإذا كان المضاف إليه من غير جنسه قالوا رابع ثلاثة وسادس خمسة ونحو ذلك.

قوله: **إلا هو معهم:** أي مطلع عليهم يسمع كلامهم ويعلم سرهم

ونجواهم، ورسله مع ذلك تكتب ما يتناجون به، قال ابن عباس رضي الله عنه والضحاك وسفيان وأحمد وهو معهم بعلمه.

قال ابن كثير رحمه الله: ولهذا حكى غير واحد الإجماع على أنَّ المراد بهذه الآية معية علمه سبحانه.

وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: أجمع العلماء من الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل أي تفسير القرآن قالوا في تأويل قوله: ﴿**مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ وَلا خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ**﴾ الآية هو على عرشه وعلمه بكل مكان، وما خالفهم في ذلك من يحتج بقوله.

قوله: ثم ينبئهم: أي يخبرهم يوم القيامة بجميع أعمالهم.

قوله: إن الله بكل شيء عليم: قال الإمام أحمد: افتتح الآية بالعلم واختتمها بالعلم.

وقوله: لا تحزن إن الله معنا، وقوله: إنني معكما أسمع وأرى، وقوله: إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون:

قوله: لا تحزن إن الله معنا: وفي الحديث الصحيح عن أنس أنَّ أبا بكر حدثه قال: قلت للنبي ﷺ ونحن في الغار: لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا تحت قدميه، فقال رسول الله ﷺ: ما ظنك باثنين الله ثالثهما.

وقوله: **إن الله معنا**: أي بنصره وحفظه.

وقوله: **إنني معكما أسمع وأرى**: فيها إثبات السمع والبصر وقد تقدم ذلك.

وقوله: **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**: أي معهم بنصره وحفظه وتأييده وهذه معيه خاصة.

وقوله: **واصبروا إن الله مع الصابرين، وقوله تعالى: كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين**:

قوله: واصبروا إن الله مع الصابرين: أي بحفظه ونصره وتأييده، وهذه معية خاصة.

وقد أفادت هذه الآيات المتقدمة إثبات المعية، فالآيتان الأوليان فيهما إثبات المعية العامة، والخمس الآيات الأخيرة فيها إثبات المعية الخاصة، ومعيته سبحانه لا تنافي علوه على خلقه واستوائه على عرشه، فإنَّ قربه سبحانه ومعيته ليست كقرب المخلوق ومعيته لقوله تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

قوله: وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله: أي هو إلهُ ومعبودُ أهل السموات والأرض كما في قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ اللهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ**

﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ فهذه الآية لا تخالف الآيات التي فيها إثبات علوه سبحانه واستوائه على عرشه، فإنَّ قربه ومعيته لا ينافي علوه وفوقيته.

قوله: **ومن أصدق من الله حديثاً**: أي لا أحد أصدق من الله في حديثه وخبره ووعده ووعيده، وكان رسول الله ﷺ يقول في خطبته: (**إن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد** ﷺ).

قوله: **ومن أصدق من الله قِيلَا**: أي لا أحد أصدق من الله قولاً وخبراً.

قوله: **وإذ قال الله يا عيسى بن مريم**: أضافه إلى أمه لأنه لا أب له، فهو من أم بلا أب، ففي هذه الآيات إثبات القول لله سبحانه وتعالى وأنه قال ويقول متى شاء، إذا شاء، كيف شاء، وفيه الرد على من زعم أنَّ كلام الله هو المعنى النفسي، إذ المعنى المجرد لا يسمع.

قوله: **وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً**: أي صدقاً في الإخبار، وعدلاً في الطلب، والمراد بالكلمة: أمره ونهيه ووعده ووعيده، وكلمات الله نوعان: كونية ودينية.

قوله: **وكلم الله موسى تكليماً**: في هذه الآية دليل على أنَّ التكليم الذي حصل لموسى عليه السلام أخص من مطلق الوحي، ثم أكده بالمصدر الحقيقي

رفعاً لما توهمه المعطلة من أنَّه إلهام أو إشارة أو تعريف للمعنى النفسي بشيء غير التكليم فأكده بالمصدر المفيد تحقق النسبة ورفع توهم المجاز، قال الفراء: إن الكلام إذا أكد بالمصدر ارتفع المجاز وثبتت الحقيقة.

قوله: منهم من كلم الله: أي: كلمه الله، كموسى عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم.

قوله: ولما جاء موسى لميقاتنا: أي للوقت الذي جعلناه أنَّ نكلمه فيه.

قوله: وكلمه ربه: أي كلمه سبحانه وتعالى بكلام حقيقي يليق بجلاله وعظمته، فهذه الآيات دلت على إثبات صفة الكلام لله، وأنه سبحانه يتكلم متى شاء، إذا شاء، كيف شاء، وكلامه سبحانه وتعالى حقيقة لا مجاز، خلافاً لمن زعم أنَّ كلامه سبحانه معنى واحداً قائماً بالنفس لا يتصور أنَّ يسمع، وهذا القول باطل مخالف لما دلت عليه النصوص من الكتاب والسُّنة، ومخالف لما عليه الصحابة ومن تبعهم بإحسان.

قوله: وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا: قوله: (وناديناه): أي نادينا موسى وكلمناه بقول: (يا موسى إني أنا الله)، والطور: هو اسم جبل بين مصر ومدين، وقوله: (الأيمن): أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين، قوله: (وقربناه نجيا): أي مناجياً.

وقوله: (وإذ نادى ربك موسى أنَّ ائت القوم الظالمين، وقوله: وناداهما

ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة، وقوله: ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين) ففي هذه الآيات إثبات صفة النداء لله سبحانه وتعالى.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في النونية:

واللهُ قد نَادى الكليمَ وقبلَه

سـمعَ النِّدا في الجنَّـةِ الأبـوانِ

وأتـى النِّـدا في تسعِ آيـاتٍ له

وصفًا فراجعْها من القـرآنِ

أيصِحُّ في عقلٍ وفي نقلٍ نداءٌ

ليس مسموعًا لنا بـأذانِ

أم أجمعَ العلماءُ والعقلاءُ من

أهـلِ اللسـانِ وأهـلِ كُلِّ لسـانِ

إنَّ النِّدا الصَّوتُ الرَّفيعُ وضدُّه

فهـو النَّجـاءُ كلاهمـا صوتـانِ

وفي هذه الآيات الرد على من زعم أنَّ كلام الله هو المعنى النفسي، إذ

المعنى المجرد لا يسمع.

قوله: وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه: ففي هذه الآية دليل على أنَّ القرآن الذي هو سُوَر وآيات وحروف وكلمات هو عين كلامه سبحانه حقاً لا تأليف مَلَك ولا بشر، وأن حروفه ومعانيه عين كلامه سبحانه الذي تكلم به سبحانه حقاً، وبلَّغه جبريل إلى محمد ﷺ، كما في سنن أبي داود أنَّ رسول الله ﷺ كان يعرض نفسه على الناس بالموسم فيقول: ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي فإنَّ قريشاً منعوني أنَّ أبلغ كلام ربي، وكما قال أبو بكر الصديق ﷺ حين قرأ على قريش: ﴿**أَلَم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾: فقالوا: هذا كلامك أو كلام صاحبك، فقال: ليس بكلامي ولا بكلام صاحبي ولكنه كلام الله، فالقرآن كلام الله، ولم يقل أحد من السلف إنه مخلوق أو أنه قديم، بل الآثار متواترة عن السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنَّهم يقولون: القرآن كلام الله، وأول من عرف عنه أنه قال مخلوق الجعد بن درهم، وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف عنه أنه قال: هو قديم عبدالله بن سعيد بن كُلاَّب، أما السلف فلم يقل أحد منهم بواحد من القولين، ولم يقل أحد من السلف: أنّ القرآن عبارة عن كلام الله وحكاية له، ولا قال منهم أحد إن لفظي بالقرآن قديم أو مخلوق، بل كانوا يقولون القرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

وقوله سبحانه: **وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون، وقوله: يريدون أنَّ يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل:**

قوله: **فريق:** أي طائفة: (منهم): أي أحبارهم يسمعون كلام الله أي التوراة.

قوله: **ثم يحرفونه:** أي يغيرونه ويتأولونه على غير تأويله، من بعد ما عقلوه أي فهموه، (وهم يعلمون): أي أنَّهم مفترون، ففي هذه الآية إثبات صفة الكلام لله سبحانه وتعالى، والرد على من زعم أنَّ الله لا يتكلم أو أنَّ كلامه مخلوق تعالى الله وتقدس.

قوله: **يريدون أنَّ يبدلوا كلام الله:** وهو الوعد الذي وعد به أهل الحديبية، اختاره ابن جرير.

قوله: **قل لن تتبعونا:** أي في خيبر، وهذا خبر بمعنى النهي.

قوله: **كذلكم قال الله من قبل:** أي من قبل عودنا ومن قبل انصرافنا من مكة إلى المدينة أنّ غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة دون غيرهم، فأفادت هذه الآية كغيرها إثبات صفة الكلام لله عَزَّوَجَلَّ، وأنه قال ويقول متى شاء إذا شاء.

قوله: واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته:

قوله: واتل: أي اتبع، والتلاوة هي الاتباع، يقال أُتل أَثر فلان وتلوت أثره وقفوته وقصصته بمعنى تبعت خلفه.

قوله: ما أوحي إليك: الوحي هو إعلام الله أنبياءه بالشيء، إما بكتاب أو رسالة ملك أو منام أو إلهام.

قوله: من كتاب ربك: أي القرآن بدليل قوله:﴿**وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ**﴾ إلى قوله: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَى**﴾ الآية.

قوله: لا مبدل لكلماته: أي لا تُغيِّر ولا تُبدِّل، كما قال سبحانه: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾ ففي هذه الآية دليل على أنَّ الكتاب هو القرآن، خلافاً للكُلَّابية، قال تعالى: ﴿**تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ**﴾.

قوله: إن هذا القرآن يقص: أي يبين.

قوله: على بني إسرائيل : هم حملة التوراة.

قوله: أكثر الذي هم فيه يختلفون: وذلك كاختلافهم في أمر عيسى وتباينهم فيه، فجاء القرآن بالقول العدل الحق أنَّ عيسى عبدٌ من عباد

الله ونبي من أنبيائه، وفي الآية دليل على عظمة هذا الكتاب وهيمنته على الكتب السابقة.

وقوله: **وهذا كتاب أنزلناه مبارك:** أي القرآن كثير المنافع والخير.

قوله: **لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله:** ففي هذه الآية دليل على عظمة القرآن وأنه لو أُنزل على جبل لخشع وتصدَّع من خشية الله.

قوله: وإذا بدلنا آية مكان آية: أي نسخناها وأنزلنا غيرها.

قوله: **والله أعلم بما ينزِّل:** أي أنَّ الله سبحانه وتعالى أعلم بما هو أصلح لخلقه فيما يُغيّر ويَنسخ من أحكامه.

قوله: **قالوا إنما أنت مفتر:** أي قال الكفار إنما أنت كذاب (بل أكثرهم لا يعلمون): أي لا يعلم أكثرهم بذلك.

قوله: **قل نزَّله:** أي القرآن.

قوله: **روح القدس:** أي جبريل عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ**﴾، ففيه دليل على أنَّ القرآن مُنزَّل من عند الله، وأنه كلامه بدأ منه، وأنه سبحانه هو الذي تكلم به، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم سمعه من جبريل، وجبريل هو الذي نزل به من عند الله، وجبريل سمعه

من الله تعالى، والصحابة سمعوه من النبي ﷺ، وفيها الرد على من قال إن النبي ﷺ سمع القرآن من الله، وفيها الدلالة على بطلان قول من قال إنَّه مخلوق خلقه الله في جسم من الأجسام المخلوقة، كما هو قول الجهمية القائلين بخلق القرآن، وفيها الدلالة على بطلان قول من قال إنه فاض على النبي ﷺ من العقل الفعال أو غيره، كما يقوله طوائف من الفلاسفة والصابئة، وهذا القول أشدُّ كفراً من الذي قبله، وفيها دليل على بطلان قول من يقول: إن القرآن العربي ليس منزلاً من الله بل مخلوق، إما في جبريل أو محمد أو جرم آخر كالهواء، كما يقول ذلك الكُلَّابية والأشعرية القائلون بأن القرآن العربي ليس هو كلام الله، وإنَّما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، وهذا يوافق قول المعتزلة ونحوهم في إثبات خلق القرآن، وفيها أنَّ السفير بين الله ورسوله محمد ﷺ هو جبريل عليه السلام، وفيها الرد على من زعم أنَّ كلام الله هو المعنى النفسي، فإنَّ جبريل سمعه من الله والمعنى المجرد لا يسمع، وفيها دليل أنَّ القرآن نزل باللغة العربية وتكلَّم اللهُ سبحانه بالقرآن بها، وفيها الرد على من زعم أنه يجوز ترجمة القرآن باللغات الأعجمية؛ لأن القرآن معجز بلفظه ومعناه.

قوله: بالحق: أي بالصدق والعدل.

قوله: ليثبت الذين آمنوا: أي يزيدهم يقيناً وإيماناً.

قوله: وهدى: أي بيان ونور وبصيرة.

قوله: وبشرى: البشرى هو الخبر السَّار، كما قال تعالى: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ**﴾.

قوله: ولقد نعلم أنَّهم يقولون: أي كفار مكة: (**إنَّما يعلمه بشر**) وذلك أنَّ النبي ﷺ كان يجلس إلى رجل أعجمي في مكة، وكان ذلك الرجل يقرأ في الكتب السابقة، فقالت قريش: إنَّ هذا الرجل كان يُعَلِّم محمداً، فَكَذَّبَهُم الله تعالى بقوله: ﴿**لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾.

قوله: لسان: أي لغة (الذي يلحدون إليه): أي يشيرون إليه، والعجمي المنسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً.

قوله: وهذا لسان عربي مبين: أي بين واضح فكيف يكون الذي يقوله أعجمياً.

قوله: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة: في هذه الآية دليل على أنّ الله جَلَّوَعَلَا يُرى في الأبصار يوم القيامة، فيرونه سبحانه في عرصة القيامة، ويراه المؤمنون في الجنة، ، وقد تواترت الأدلة في إثبات النظر إلى وجه الله سبحانه وتعالى، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ في النونية:

وَيَرَوْنَهُ ـ سُبْحَانَهُ ـ مِنْ فَوْقِهِمْ

نَظَرَ العِيَانِ كَمَا يُرى القَمَرَانِ

هَذَا تَوَاتَرَ عَنْ رَسُولِ اللهِ لَمْ

يُنْكِرْه إلا فَاسِدُ الإِيمَانِ

والناس في إثبات الرؤية وعدمها طرفان ووسط، فقسم غلو في إثباتها حتى أثبتوها في الدنيا والآخرة، وهم الصوفية وأمثالهم، وقسم نفوها في الدنيا والآخرة وهم الجهمية والمعتزلة، والوسط هم أهل السُّنة والجماعة الذين أثبتوها في الآخرة فقط حسبما تواترت به الأدلة.

والنبي ﷺ لم يَرَ ربه سبحانه ليلة الإسراء والمعراج، وإنما رأى جبريل، وأما في الآخرة فيراه النبي ﷺ والمؤمنون يرونه يوم القيامة ويرونه في الجنة كما يشاء سبحانه، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت النبي ﷺ هل رأيت ربك. فقال عليه الصلاة والسلام: رأيت نوراً، وفي اللفظ الآخر: نور أنى أراه.

قوله: على الأرائك ينظرون: الأرائك جمع أريكة وهي: السرر تحت الحجال.

قوله: ينظرون: أي ينظرون إليه سبحانه وتعالى.

قوله: للذين أحسنوا: أي في أعمالهم.

قوله: الحسنى: أي الجنة. (وزيادة) وهي النظر إلى وجه الله، جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله الكريم (كما رواه مسلم).

قوله: لهم ما يشاؤون فيها: أي في الجنة.

قوله: ولدينا مزيد: أي النظر إلى وجهه سبحانه كما قال ذلك علي بن أبي طالب وأنس وغيرهم: فأفادت هذه الآيات إثبات الرؤية، وأنها خاصة بيوم القيامة، وأنّ رؤية الله سبحانه وتعالى من أجلِّ نعيم الجنة وأعظمه.

قال المصنف رحمه الله: **وهذا الباب في كتاب الله كثير، من تدبر القرآن طالباً للهدى منه؛ تبين له طريق الحق:** أي أنّ القرآن قد أفصح عن هذا الباب أي باب معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وما يستحقه سبحانه من إفراده بالعبادة، وترك عبادة ما سواه، فإنَّ أغلب سور القرآن متضمنة لذلك.

قوله: من تدبر القرآن: أي تفكر فيه، والفكر: هو إعمال النظر في الشيء، وقد أمر الله في التدبر والتفكر في الآيات قال تعالى: ﴿**كِتَابٌ**

أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾، وقال تعالى: ﴿**أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**﴾.

قوله: طالباً للهدى: أي الرشاد (تبين له): أي اتضح له، (طريق): أي سبيل، الحق: وهو الصراط المستقيم الذي قال الله فيه: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ**﴾، ومن لم يتبع الحق يكون على الباطل والضلال.

قوله: فصل في سُنَّة رسول الله ﷺ، فالسُّنة تُفسِّر القرآن: السُّنة لغة: الطريقة، وعرفاً: هي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته.

قوله: تُفسِّر القرآن: أي تبينه وتوضحه، والتفسير في الأصل هو الكشف والإيضاح، فتفسير اللفظ تبيين معناه وتوضيحه، ويكون بذكر لفظ أوضح من المفسر، ويكون أيضاً بذكر ضد الشيء كما قيل:

والضِّدُّ يُظهرُ حسنُ الضِّدُّ

وَبِضِّدِها تتبيَّنُ الأشياءُ

فالنبي ﷺ بين لأصحابه القرآن، لفظه ومعناه، فبلغهم معانيه كما بلغهم ألفاظه، ولا يحصل البيان والبلاغ المقصود إلا بذلك، كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ **لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾، وقال أيضاً: ﴿**لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى**

الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، والحكمة هي: السُّنة، قال ﷺ: **(ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله معه)** (رواه أهل السنن من حديث المقدام بن معدي كرب)، وقال سبحانه: **﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى﴾**.

قوله: وتُبينه، وتدلُ عليه، وتعبرُ عنه:

قوله: وتبينه: أي أنَّ السُّنة تبيِّن القرآن وتوضحه وتكشف معناه، فالسُّنة تبين مجمل الكتاب، كما جاء في أحكام الصلاة والصوم والحج والبيع، وغير ذلك من الأحكام التي جاء تفصيلها في السُّنة، والبيان يحصل بالقول وبالفعل وبالإقرار على الفعل.

قوله: وتدل عليه: من الدِلالة بكسر الدال وفتحها، وهو ما يقتضيه اللفظ عند إطلاقه، ودلالة اللفظ الوضعية تنقسم إلى ثلاثة أقسام: دلالة مطابقة، ودلالة تضمن، ودلالة التزام، فدلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الذي وضع له، كدلالة الرجل على الإنسان الذكر، وسميت مطابقة لتطابق الفهم والوضع فيها، ودلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء مسماه، كدلالة لفظ الأربعة على الواحد ربعها، وسميت تضمنا؛ لأن بعض المعنى مفهوم من ضمنه كله ضرورة، ودلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على خارج من مسماه ولازم المعنى، كلزوم الزوجية للفظ

أربعة.

قوله: وتعبر عنه: أي تبين وتعرب عنه، ويقال: هو عبارة عن كذا أي بمعناه ومساوٍ له في الدلالة، كما تقدم أنَّ السُّنة تفسر القرآن وتبيّن مجمله وتقيّد مطلقه.

ولذا قال ابن القيم رحمه الله: **السُّنة مع القرآن على ثلاثة أوجه:**

أحدها: أنَّ تكون موافقة له من كل وجه، فيكون توارد الكتاب والسُّنة على الحكم من باب توارد الأدلة وتضافرها.

الثاني: أنَّ تكون بياناً لما أريد بالقرآن وتفسيراً له.

الثالث: أنَّ تكون موجبةً لحكم سكت القرآن عن إيجابه، أو تحريم ما سكت القرآن عن تحريمه، ولا تخرج عن هذه الأقسام.

قوله: وما وصف الرسول به ربه عز وجل من الأحاديث الصحاح التي تلقاها أهل المعرفة بالقبول؛ وجب الإيمان بها كذلك: الحديث: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً أو تقريراً.

والصحيح هو ما نقله العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة، فهو ما جمع خمسة شروط: عدالة الرواة وضبطهم، واتصال السند، وأن لا يكون فيه شذوذ، وأن لا يكون فيه علة، وهذه الشروط شروط

الصحيح لذاته، أما الصحيح لغيره، فهو ما اختل فيه شرط من هذه الشروط، ولكن إنجبر بمجيئه من طرق أخرى.

قوله: تلقاها: أي قبلها وأخذها.

قوله: أهل المعرفة بالقبول: أي أهل العلم بالحديث، فإنَّ أهل الحديث لهم فقه خاص في الحديث مختصون بمعرفته، كما يختص البصير في معرفة النقود، جيدها ورديئها، خالصها ومشوبها، ولا يكون ذلك إلا بالعمل بالحديث مع سلامة المعتقد، خلافاً للمتكلمين وغيرهم من الفلاسفة والجهمية والمعتزلة ونحوهم، وغيرهم ممن قدم المعقول على المنقول.

قوله: وجب الإيمان بها كذلك: نعم يجب الإيمان بما صح عن الرسول ﷺ فإنَّ الله أنزل على رسوله وحيين، فأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والسُّنة، قال تعالى: ﴿**وَأَنزَلَ عليك الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ**﴾، والمقبول في هذا الباب من أبواب السُّنة أربعة:

الأول: ما تواتر لفظاً ومعنى.

الثاني: ما تواتر معنى.

الثالث: أحاديث مستفيضة تلقها أهل العلم بالقبول.

الرابع: أحاديث آحاد ثبتت بنقل العدل الضابط عن مثله، من غير

شذوذ ولا علة، فهذه الأنواع هي المقبولة في باب العلميات، فإنَّ هذا الباب لا يبنى إلا على ما ثبت بطريق لا كلام فيه، فهذه الأنواع الأربعة مفيدة للعلم واليقين موجبة للعلم والعمل جميعاً.

قوله: مثل قوله ﷺ: **(ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)** (متفق عليه):

هذا مما تواترت فيه الأدلة عن رسول الله ﷺ، من أنه سبحانه ينزل نزولاً يليق بجلاله وعظمته، لا نعطله ولا نشبهه بنزول خلقه، ليس كمثله شيء، فيجب الإيمان بذلك إيماناً لا تعطيل فيه ولا تمثيل.

فنثبت النزول لله حقيقة، وكذلك الإيمان بالإتيان والمجيء وغير ذلك من صفاته الفعلية والذاتية.

وأما كيفية ذلك فلا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول، وكذلك يقال في النزول والإتيان والمجيء وغير ذلك من صفاته الفعلية والذاتية، فالنزول من الصفات الفعلية التي يجب الإيمان بها على ما يليق بجلالة وعظمته.

وقوله ﷺ: (لله أشد فرحاً بتوبة عبده من أحدكم براحلته) (متفق

عليه). هذا الحديث فيه إثبات صفة الفرح لله عَزَّوَجَلَّ، كما يليق بجلاله وعظمته، وهذه الفرحة منه سبحانه فرحة إحسان وبر ولطف، لا فرحة محتاج إلى توبة عبده ، فإنه سبحانه لا تنفعه الطاعة ولا تضره المعصية.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر؛ كلاهما يدخل الجنة)** (متفق عليه)، هذا الحديث يدل على إثبات صفة الضحك لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته كسائر صفاته.

وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(عجب ربنا من قنوط عباده وقرب خيره، ينظر إليكم أزلين قنطين، فيظل يضحك يعلم أنَّ فرجكم قريب)**. حديث حسن: هذا الحديث رواه أحمد، وابنه عبدالله في حديث طويل ولفظه **(ضحك ربنا من قنوط عباده**... إلى آخر الحديث).

قوله: عجب: فيه إثبات صفة العجب لله على ما يليق بجلاله وعظمته كما قال تعالى: ﴿**بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ**﴾ وعَجِبْتُ بضم التاء على القراءة الأخرى، وفيه الرد على المعطلة من الجهمية والمعتزلة وغيرهم الذين ينفون الضحك والعجب ويؤولون ذلك بتأويلات فاسدة، وفيه إثبات النظر لله عَزَّوَجَلَّ، وكل هذه من الصفات الفعلية فنثبتها لله سبحانه على ما جاءت بذلك الأدلة الصحيحة، وحكم هذه الصفات حكم رضاه ومحبته وإرادته وسمعه وبصره وسائر صفاته والقول بالصفات كالقول

في الذات، كما أننا نعتقد أنَّ لله ذاتاً لا تشبه الذوات فالصفات كذلك لا تشبه الصفات.

قوله: حديث حسن: الحسن اصطلاحاً: هو ما عرف مخرجه واشتهرت رجاله، وشروطه شروط الصحيح، إلا أنَّ الضبط يكون أقل وأخف من الصحيح، وهذا هو الحسن لذاته، وأما الحسن لغيره فهو ما اختلت فيه شروط الصحيح لكن انجبر بمجيئه من طرق أخرى.

وقوله ﷺ: (لا تزال جهنم يلقى فيها وهي تقول: هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها رجله، وفي رواية: **قدمه فينزوي بعضها إلى بعض، فتقول: قط قط).** (متفق عليه).

قوله: جهنم: هو عَلَم على طبقة من طبقات النار، أعاذنا الله منها.

قوله: يلقى فيها: أي يطرح (وهي تقول هل من مزيد) أي هل من زيادة: تطلب الزيادة لسعتها وبُعد قعرها.

قال ابن القيم رحمه الله: وأخطأ من قال إن ذلك للنفي، أي ليس من مزيد، فإنَّ الحديث الصحيح يرد هذا التأويل.

قوله: فينزوي: أي ينضم بعضها إلى بعض.

قوله: فتقول قط قط: بمعنى حسبي أي يكفي، وهذا الحديث فيه

دليل على إثبات النار ووجودها، نعوذ بالله منها، وفيه إثبات كلام النار وأنها تتكلم، وهل هذا الكلام بلسان المقال أم بلسان الحال، فيه قولان أصحهما الأول، للحديث ولأن الأصل الحقيقة، وفيه أنَّ الله جَلَّوَعَلَا يضع عليها قدمه، فيتلاقى طرفاها ولا يبقى فيها فضل عن أهلها، وأما الجنة فيبقى فيها فضل عن أهلها فينشئ الله لها خلقاً آخرين، كما ثبت ذلك في الحديث، وفي هذا الحديث دليل على إثبات القدم والرجل للهِ سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله وعظمته، وأنَّ القدم والرجل من صفات الله المنزهة عن التكييف، فالإيمان بها فرض، والامتناع عن الخوض بها واجب، نعم نثبت صفة القدم لله حقيقة على ما يليق بجلالة وعظمته، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

وقوله: **يقول الله تعالى يا آدم! فيقول: لبيك وسعديك. فينادي بصوت: إنَّ الله يأمرك أنَّ تخرج من ذريتك بعثاً إلى النار.** (متفق عليه)، الشاهد في الحديث: فينادي: بكسر الدال، أي الله سبحانه وتعالى.

قوله: **بصوت:** فيه إثبات الصوت حقيقة كما يليق بالله سبحانه وتعالى، وصوته من صفات ذاته، وقيد النداء بالصوت إيضاحاً وتأكيداً كما قيد التكليم بالمصدر في قوله: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾.

وفي هذا الحديث إثبات صفة القول لله سبحانه وتعالى وأنه قال ويقول

متى شاء إذا شاء، وأفاد إثبات النداءَ لله سبحانه وأنه نداء حقيقة بصوت.

فهذا القول وهذا النداء يكون يوم القيامة، وهو من الأفعال الاختيارية لله، وأما صفة الكلام فإنها صفة ذات وفعل، فإنه سبحانه متصف بهذه الصفة ويتكلم متى شاء إذا شاء كيف شاء.

وأول ما ظهر إنكار أنَّ الله يتكلم بصوت في أثناء المائة الثالثة لما ظهرت الجهمية المعطّلة، وقد خالفت الجهمية نصوص الكتاب والسُّنة، وقد جاء في إثبات الحرف والصوت في كلام الله أكثر من أربعين حديثاً، بعضها صحاح وبعضها حسان ويحتج بها، وفي الحديث دليل على أنَّ الله نادى آدم وكلمه، وفيها الرد على من زعم أنَّ كلام الله هو المعنى النفسي، فإنَّ آدم عليه السلام سمع كلام الله، والمعنى المجرد لا يسمع، وفيه الرد على من زعم أنَّ كلام الله شيء واحد لا يتجزأ ولا يتبعض.

وقوله: صلى الله عليه وسلم ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان: ومعنى ذلك أنَّ الله عز وجل يكلم خلقه بلا واسطة، وفي هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله سبحانه، والرد على الجهمية والأشاعرة الذين ينفون صفة الكلام، فإنَّ الكلام صفة كمال، وأفاد هذا الحديث أيضاً أنه يكلم جميع الناس يوم القيامة.

وقوله صلى الله عليه وسلم في رقية المريض: (ربنا الله الذي في السماء، تقدس اسمك،

أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء اجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين، أنزل رحمة من رحمتك، وشفاء من شفائك على هذا الوجع؛ فيبرأ).. (حديث حسن رواه أبو داود وغيره).

قوله: **في رقية المريض:** أي القراءة على المريض، وفيه دليل على مشروعية الرقية، كما روى مسلم من حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(لا بأس بالرقى ما لم تكن شركاً)**.

قوله: **ربنا الله الذي في السماء:** فيه إثبات العلو لله سبحانه وتعالى على الخلق، ومعنى في السماء أي على السماء، كما في قوله سبحانه: ﴿**فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا**﴾.

وقوله: **فسيحوا في الأرض:** أي عليها.

قوله: **تقدس اسمك:** أي تنزه من التقديس، وهو التنزيه عما لا يليق.

قوله: **أمرك في السماء والأرض:** أي أمرك الكوني القدري، وأمرك الديني الشرعي، أي نافذ في أهل السماء وفي أهل الأرض.

قوله: **كما رحمتك في السماء:** فيه إثبات صفة الرحمة لله سبحانه وتعالى كما يليق بجلاله والتوسل بها.

قوله: **أنزل رحمة من رحمتك:** فيه إثبات العلو، وهذه الرحمة مخلوقة،

فإنَّ الرحمة المضافة إليه تنقسم إلى قسمين:

الأول: رحمة تضاف إليه سبحانه وتعالى من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، كقوله تعالى: ﴿**وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ**﴾، فهذه الرحمة من صفات الله عَزَّوَجَلَّ وليست مخلوقه.

الثاني: رحمة تضاف إليه سبحانه من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، كما قال في هذا الحديث: (أنزل رحمة من رحمتك) وكما في حديث: (خلق الله مائة رحمة).

قوله: اغفر لنا حوبنا: الحوب هو الإثم، ومنه قوله تعالى: (**إنه كان حوباً كبيراً**).

قوله: وخطايانا: الخطايا هي الذنوب والآثام.

قوله: أنت رب الطيبين: جمع طيب، والله جَلَّوَعَلَا رب كل شيء، ولكن هذه ربوبية خاصة بأنبيائه وعباده الصالحين، وذلك لما اتصفوا به من حسن الذات والعمل الطيب، فإنَّ الله عَزَّوَجَلَّ رباهم تربية خاصة، ولذا فإنَّ الربوبية تنقسم إلى قسمين:

الأول: ربوبية عامة، وهي لسائر الخلق.

الثاني: ربوبية خاصة، وهي ربوبية لأنبيائه وعباده الصالحين.

وفي هذا الحديث التوسل إلى الله سبحانه بربوبيته للطيبين، وهذا توسل شرعي، وهو التوسل بربوبيته والتوسل بأسمائه وصفاته، ومن التوسل الجائز التوسل بالإيمان والعمل الصالح وأما الذي لا يجوز فهو التوسل بالذوات المخلوقة.

قوله: على هذا الوجع: بالفتح الألم، وبكسر الجيم أي المصاب بالمرض.

وقوله: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء. (حديث صحيح).

هو في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري قال: بعث علي من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تُحصَّل من ترابها، فقسمها رسول الله ﷺ بين أربعة: زيد الخير، والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، وعلقمة بن علاثة أو عامر بن الطفيل (شك عمارة) فوجد من ذلك بعض الصحابة من الأنصار وغيرهم، فقال رسول الله ﷺ: **(ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء)** (أخرجه البخاري ومسلم).

قوله: ألا تأمنوني: ألا: أداة استفتاح.

قوله: وأنا أمين من في السماء: أي أمين الله الذي فوق السماء على تبليغ شرعه ودينه، واعلم أنَّ أول بدعة وقعت في الإسلام فتنة الخوارج، وكان مبدؤهم بسبب الدنيا حين قسم النبي ﷺ غنائم حنين، فكأنهم رأوا في

عقولهم الفاسدة أنه لم يعدل في القسمة، ففاجئوه بهذه المقالة، ثم كان ظهورهم في أيام علي بن أبي طالب فقتلهم في النهروان، ثم تشعبت منهم شعوب وآراء وأهواء ومقالات ونحل كثيرة منتشرة، ثم حدثت بعدهم بدعة القدرية، ثم المعتزلة، ثم الجهمية، وغير ذلك من البدع التي أخبر عنها النبي ﷺ في قوله: **(وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة)** قالوا: ومن هُمْ يا رسول الله؛ قال: **(من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي)** (أخرجه الحاكم في مستدركه).

وفي هذا الحديث دليل على علو الله على خلقه، وقوله **(في السماء)** فسرت في بمعنى على، أو أنَّ المراد بالسماء العلو، ولا تنافي بين التفسيرين، وليس معنى قوله **(في السماء)** أنَّ السماء تظله أو تقله أو تحيط به أو تحويه، فإنَّ هذا ليس بصحيح في اللغة، وكذلك خلاف ما فطر الله عليه الخلق.

وقد علم المسلمون أنَّ كرسيه سبحانه وتعالى وسع السماوات والأرض، وأن الكرسي في العرش كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وأن العرش خلق من مخلوقات الله لا نسبة له إلى قدرة الله وعظمته، فكيف يتوهم متوهم بعد ذلك أنَّ خلقاً يحصره أو يحويه.

وقوله: ﷺ والعرش فوق ذلك، والله فوق العرش، وهو يعلم ما أنتم عليه. (حديث حسن، رواه أبو داود وغيره): في هذا الحديث إثبات صفه

علو الذات لله عَزَّوَجَلَّ وأنه فوق عرشه على ما يليق بجلاله وعظمته، وفيه إثبات العرش، وقد تكاثرت الأدلة من الكتاب والسُّنة على إثباته، وفيه الرد على من نفى العرش وزعم أنَّ معنى عرشه ملكه وقدرته، ولا شك في بطلان هذا القول.

وقوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ **للجارية: أين الله؟**، قالت: **في السماء**، قال: **من أنا؟** قالت: **أنت رسول الله**، قال: **أعتقها فإنها مؤمنة** (رواه مسلم)، هذا الحديث رواه مسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي، ففي هذا الحديث دليل على علو الله سبحانه وفوقيته، وأن الخلق مفطور على معرفة ذلك، فإنَّ الناس عند دعائهم لربهم، وعند الابتهال والرغبة إليه، يرفعون أيديهم إلى السماء وذلك لاستفاضة العلم عندهم بأن ربهم الذي يدعونه في السماء، وقد تواترت الأدلة على إثبات علوه جَلَّجَلَالُهُ فوق سماواته وأنه سبحانه مستوٍ على عرشه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

وقوله صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: **(أفضل الإيمان أنَّ تعلم أنَّ الله معك حيثما كنت)** (حديث حسن)، هذا الحديث رواه الطبراني، وفيه دليل على إثبات معيته سبحانه وتعالى لخلقه، والمعية تنقسم إلى قسمين:

معية عامة: وهي معية العلم والاطلاع.

ومعية خاصة: وهي معية النصر والتأييد والحفظ، ﴿**إِنَّ اللهَ مَعَ الَّذِينَ**

اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾.

وفي هذا الحديث دليل على أنَّ الإيمان يتفاضل، وأن بعض خصال الإيمان أفضل من بعض، وفيه دليل على فضل عمل القلب، وأن أعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان، وفيه دليل على فضل الإحسان وهو أنَّ يعبد العبد ربه كأنه يراه فيستحضر قرب الله واطلاعه عليه وأنه بين يديه، وذلك يوجب الخشية والخوف والتعظيم، ويوجب النصح في العبادة وبذل الجهد في تحسينها وإتمامها، فيجمع العبد بين الإيمان بعلو الله سبحانه وتعالى واستحضار قربه، ولا منافاة بين الأمرين.

وقوله: **(إذا قام أحدكم إلى الصلاة؛ فلا يبصق قبل وجهه، ولا عن يمينه؛ فإنَّ الله قبل وجهه، ولكن عن يساره، أو تحت قدمه)**.. (متفق عليه).

قوله: يبصق: أي يتفل.

قوله: قبل: أي مواجه، في هذا الحديث دليل على قرب الله سبحانه وتعالى وإحاطته كما يليق بجلاله وعظمته كما قال سبحانه: ﴿**وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ**﴾، فإذا كان محيطاً بالعالم فهو فوقه بالذات عال عليه من كل وجه وبكل معنى، فالإحاطة تتضمن العلو والسعة والعظمة.

وكذلك العبد إذا قام يصلي فإنه يستقبل ربه وهو فوقه، فيدعوه من قِبَل

وجهه لا من عن يمينه ولا عن شماله، ويدعوه من العلو لا من السُفْل كما إذا قدَّر أنه يخاطب القمر فإنه لا يتوجه إليه إلا بوجهه، وكذلك الشمس عند طلوعها فإنها قِبلَ وَجْهِ مَنْ إستقبل المشرق وهي في السماء، والله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقوله ﷺ: اللهم رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ربنا ورب كل شيء، فالق الحب والنوى، منزل التوراة والإنجيل والقرآن، أعوذ بك من كل شيء أنت آخذ بناصيته، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء، اقض عني الدين وأغنني من الفقر. (رواه مسلم).

هذا الحديث أخرجه مسلم من حديث سهيل قال: كان أبو صالح يأمرنا إذا أراد أحدنا أنَّ ينام أنَّ يضطجع على شقه الأيمن ثم يقول: (**اللهم رب السماوات السبع**) الحديث، وكان يروي ذلك عن أبي هريرة وأخرجه أيضاً أهل السنن.

قوله: اللهم: أصله يا الله، فالميم عوض عن ياء، ولذلك لا يجمع بينهما.

وفي هذا الحديث إثبات عظمة العرش، والرد على من زعم أنَّ العرش ملكه، أو قدرته.

قوله: ربنا ورب كل شيء: فيه إثبات عموم ربوبيته وملكه، وأنه خالق كل شيء، ففيه الرد على القدرية الذين يزعمون أنَّ العبد يخلق فعل نفسه، وهذا القول باطل، لأن من قال ذلك لم يدخل أفعال خلقه في عموم قدرته وربوبيته.

قوله: منزل التوراة والإنجيل والقرآن: أي منزل التوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، والقرآن على محمد ﷺ، وأن هذه الكتب من كلام الله، وأنها منزلة من عند الله، وأنها غير مخلوقة، خلافاً لأهل البدع الذين يزعمون أنَّ كلام الله مخلوق، أو أنَّها كلام غيره.

قوله: أعوذ بك: أي التجئ واعتصم بك يا الله من شر كل ذي شر، ومن شر كل شيء من المخلوقات لأنَّها كلها في سلطانه وهو آخذ بنواصيها.

قوله: أنت الأول فليس قبلك شيء: ففيه دليل على أوليته سبحانه وأنه قبل كل شيء.

قوله: وأنت الآخر فليس بعدك شيء: وهذا دليل على أبديته سبحانه وبقائه بعد كل شيء.

قوله: وأنت الظاهر فليس فوقك شيء: فيه دليل على علوه سبحانه على خلقه وفوقيته واستوائه على عرشه.

قوله: وأنت الباطن فليس دونك شيء: فيه دليل على قربه سبحانه وإحاطته، وقربه سبحانه لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه ليس كمثله شيء، وليس قربه كقرب الأجسام بعضها من بعض تعالى الله أنَّ يشبهه شيء من خلقه، فهذه الأسماء الأربعة متقابلة، اسمان منها لأزلية الرب وأبديته وهما الأول والآخر، واسمان لعلوه وقربه وهما الظاهر والباطن.

وقوله ﷺ لما رفع الصحابة أصواتهم بالذكر: أيها الناس اربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً قريباً. إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته. متفق عليه: هذا الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال لما غزا رسول الله ﷺ خيبر أو قال لما توجه رسول الله ﷺ أشرف الناس على وادٍ فرفعوا أصواتهم بالتكبير الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله فقال رسول الله ﷺ (**إربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم**) (متفق عليه)، وهذا القرب المذكور في الحديث قرب إحاطة وعلم وسمع ورؤيه، فلا ينافي علوه على خلقه.

قوله ﷺ: إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، لا تضامون في رؤيته، فإنَّ استطعتم أنَّ لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها؛ فافعلوا. (متفق عليه).. هذا الحديث رواه البخاري ومسلم

وغيرهما من حديث جرير بن عبدالله البجلي قال: كنا جلوساً عند النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، وقال: (**إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته، فإنَّ استطعتم أنَّ لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا**)، ثم قرأ: ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**﴾.

إلى غير ذلك من الأحاديث التي رويت عن النبي ﷺ في رؤية الله وهي أحاديث صحيحة، وأسانيدها غير مدفوعة، والقرآن شاهد أنَّ الله يرى في الآخرة، وقد تواطأ على إثبات ذلك أدلة الكتاب والسُّنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث، وانكر ذلك الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم اعتماداً على عقولهم الفاسدة وتقليداً لأعداء الدين الذين نبذوا كتاب الله وسُنَّة رسوله وراء ظهورهم، فإنَّ الحق الذي عليه أهل السُّنة والجماعة أنَّ الله سبحانه وتعالى يُرى كالقمر ليلة البدر صحوه، وكما يُرى الشمس ظهيرة، نسأل الله جَلَّ وَعَلَا أنَّ يمنَّ علينا برؤيته عَزَّ وَجَلَّ في الآخرة.

قوله: إلى أمثال هذه الأحاديث التي يخبر فيها رسول الله ﷺ عن ربه بما يخبر به:

قوله: إلى أمثال: أي أشباه هذه الأحاديث التي أوردها المصنف

رَحِمَهُ اللَّهُ، فإنَّ أهل السُّنة يؤمنون بذلك، كما يؤمنون بما جاء في القرآن، فطريق أهل السُّنة هو التمسك بالنص الصحيح، ولا يعارضونه بمعقول ولا بقول فلان، فكتاب الله وسُنَّة رسوله هما الحق، فما طابقهما قُبِل، وما خالفهما رد على قائله كائناً من كان.

قوله: **فإنَّ الفرقة الناجية أهل السُّنة والجماعة يؤمنون بذلك؛ كما يؤمنون بما أخبر الله به في كتابه؛ من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل:** الذي عليه أهل السُّنة والجماعة أنَّ السُّنة كالقرآن في وجوب القبول وإفادة العلم واليقين، فإنهم يؤمنون بذلك من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل خلافاً لما عليه أهل البدع والضلال.

قوله: **بل هم الوسط في فرق الأمة:** أي أنَّ أهل السُّنة وسط، عدول خيار معتدلون بين الطرفين المنحرفين في جميع أمورهم.

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خير الناس النمط الأوسط الذي يرجع إليهم الغالي ويلحق بهم التالي.

قوله: **كما أنَّ الأمة هي الوسط في الأمم:** أي أنَّ هذه الأمة هي الوسط في الأمم كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، أي: عدلاً خياراً، لتوسطها بين الطرفين، فلم يغلوا كالنصارى، ولم يقصروا كما قصرت

اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال، فهم وسط في باب توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، وكذلك وسط في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فلم يغلوا فيهم كما غلت النصارى في المسيح، ولا جفوهم كما جفت اليهود، فالنصارى عبدوهم واليهود قتلوهم وهذه الأمة آمنوا بهم وعزروهم ونصروهم، فهذه الأمة أفضل الأمم على الإطلاق، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

قوله: فهم وسط في باب صفات الله سبحانه وتعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهه: أي أهل السُّنة وسط معتدلون بين الطرفين، فهم معتدلون في باب صفات الله، يصفونه سبحانه بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تعطيل.

فأهل التعطيل: هم الذين نفوا حقائق أسماء الله وصفاته وعطلوه منها، من الجهمية والمعتزلة أو من بعضها كالأشاعرة وأشباههم، فالجهمية نفوا صفات الله لفظها ومعناها، وأما المعتزلة فأثبتوا الأسماء ونفوا المعاني، وأما الأشاعرة فأثبتوا لله بعض الصفات ونفوا البعض.

والجهمية: نسبة إلى الجهم بن صفوان الترمذي الضال، فهو أول من تكلم في التعطيل في الإسلام، والجهم أخذ بدعته هذه، من الجعد بن درهم، والجعد بن درهم أول من قال بخلق القرآن، وأخذ بدعته عن

أبان بن سمعان، وأخذها أبان عن طالوت بن أخت لبيد بن الأعصم زوج بنته، وأخذها لبيد عن يهودي باليمن، وأخذ هذه البدعة عن الجعد الجهم بن صفوان الترمذي، وأخذها عن الجهم بشر المريسي، وأخذها عن بشرٍ أحمد بن أبي دؤاد.

ولا شك في بطلان مذهبهم وضلالهم، وأنهم على غير صراط مستقيم لتعطيلهم لصفات الله وأسمائه الحسنى.

قوله: وأهل التمثيل المشبهة: أي أنَّ أهل السُّنة وسط بين أهل التعطيل الجهمية وبين أهل التمثيل المشبهة ، والمشبهة هم الذين شبهوا الله بخلقه ومثلوه بهم، والحق أنه سبحانه لا شبيه له ولا مثيل له ولا نظير له، قال تعالى: ﴿**هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَلاَ تَضْرِبُوا لِله الأَمْثَالَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾، فأهل السُّنة والجماعة أثبتوا لله الأسماء والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات.

قوله: وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية، وغيرهم: فالجبرية نفوا أفعال العباد، وزعموا أنَّهم لا يفعلون شيئا، والعباد ليس لهم قدرة ولا إرادة ولا فعل البته على ما زعموا ولا شك في فساد هذا المذهب.

والقدرية يقولون: إن أفعال العباد وطاعتهم ومعاصيهم لم تدخل تحت قضاء الله وقدره، فالله سبحانه وتعالى على زعمهم الباطل، لم يُقدِّر أفعال العباد ولا شاءها منهم، ولكنهم يعملونها دون مشيئة الله وقدرته، فالقدرية النفاة هم الذين ورد فيهم الحديث الذي في السنن أَنَّهم مجوس هذه الأمة، وأكثر المعتزلة على هذا المذهب الباطل، فالجبرية غلو في إثبات القدر، والمعتزلة غلو في نفيه.

وهَدَى الله أهل السُّنة والجماعة للقول الوسط الذي تؤيده أدلة الكتاب والسُّنة، فأثبتوا أنَّ العباد فاعلون حقيقة، وأنَّ أفعالهم تنسب إليهم على جهة الحقيقة لا على جهة المجاز، وأن الله خالقهم وخالق أفعالهم، كما قال: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾، وأثبتوا للعبد مشيئة واختياراً تابعين لمشيئة الله، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أنَّ هدانا الله.

قوله: وفي باب وعيد الله بين المرجئة و بين الوعيدية من القدرية وغيرهم:

قوله: وفي باب وعيد الله: الوعيد: التخويف و التهديد، فالوعيد والإيعاد في الشر، وأما الوعد والعدة ففي الخير، كما قال الشاعر:

وإنِّـي وإنْ أوْعدتُـه أوْ وعَدْتُـه

لمُخْلِفُ إِيعَادِي ومُنْجِزُ مَوْعِدي

قوله: المرجئة: المرجئة نسبة إلى الإرجاء، أي: التأخير؛ لأنهم أخروا الأعمال عن الإيمان، حيث زعموا أنَّ مرتكب الكبيرة غير فاسق، وأن الناس في الإيمان سواء، وأن الأعمال الصالحة ليست من الإيمان، ولا شك أنَّ مذهبهم مذهب باطل، ترده أدلة الكتاب والسُّنة، واعلم أنَّ المرجئة **فرقتان:**

الأولى: الذين قالوا: إن الأعمال ليست من الإيمان، وهم مع كونهم مبتدعة في هذا القول فقد وافقوا أهل السُّنة على أنَّ الله يعذب من يعذبه من أهل الكبائر بالنار، ثم يخرجهم بالشفاعة، كما جاءت به الأحاديث الصحيحة، وعلى أنه لا بد في الإيمان أنَّ يتكلم به بلسانه، وعلى أنَّ الأعمال المفروضة واجبة وتاركها مستحق للذم والعقاب، وقد أضيف هذا القول إلى بعض الأئمة من أهل الكوفة.

أما الفرقة الثانية: فهم الذين قالوا: إن الإيمان هو مجرد التصديق بالقلب، وإن لم يتكلم به، ولا شك في فساد هذا القول، ومخالفته لأدلة الكتاب والسُّنة، فإنَّ الإيمان قول باللسان، وعمل بالجوارح، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وهذا هو الاعتقاد الصحيح، وهو الذي نعتقده وندين الله به، ونبرأ إلى الله من كل قول مخالف لكتاب

الله وسُنَّة رسوله ﷺ.

قوله: الوعيدية: وهم القائلون بالوعيد، وهو أصل من أصول المعتزلة، وهو أنَّ الله لا يغفر لمرتكب الكبيرة إلا بالتوبة، وأن أهل الكبائر مخلدون في النار، ويخرجونهم من الإيمان بالكلية، ويكذبون بشفاعة النبي ﷺ، وهذا المذهب مذهب باطل ترده أدلة الكتاب والسُّنة، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾، أي: التائب وغير التائب ممن مات على التوحيد، فأهل السُّنة وسط بين الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة، فالخوارج والمعتزلة غلوا، والمرجئة جفوا.

أما أهل السُّنة فهم وسط بينهم، فمن مات على التوحيد لا بدَّ له من دخول الجنة، وأنَّ الفاسق معه بعض الإيمان، فلا يُعطى الإيمان المطلق، ولا يسلب عنه مطلق الإيمان، بل يقال مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو يقال مؤمن ناقص الإيمان.

قوله: وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية:

قوله: وفي باب أسماء الإيمان والدين: أي أنَّ هؤلاء تنازعوا في الأسماء والأحكام أي: أسماء الدين: مثل مسلم وكافر وفاسق، وكذلك في أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة، فالخوارج والمعتزلة متفقون في إسم الدين

مثل مؤمن ومسلم وفاسق وكافر، إلا أنَّ المعتزلة قد أحدثوا المنزلة بين المنزلتين، وهذه قد انفردوا بها دون غيرهم، فالخوارج والمعتزلة يقولون: إنَّ الدين والإيمان قول وعمل واعتقاد، ولكن لا يزيد ولا ينقص، ومن أتى كبيرة كفر عند الحرورية، وصار فاسقاً عند المعتزلة في منزلة بين المنزلتين، لا مؤمن ولا كافر وأما الحكم فالمعتزلة وافقوا الخوارج على حكمهم في الآخرة، فعندهم أنَّ من أتى كبيرة فهو خالد مخلد في النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغير شفاعة، أما في الدنيا فالخوارج حكموا بكفر العاصي واستحلوا دمه وماله، وأما المعتزلة فحكموا بخروجه من الإيمان ولم يدخلوه في الكفر، ولم يستحلوا منه ما استحلته الخوارج، وقابلتهم المرجئة والجهمية ومن اتبعهم، فقالوا: ليس من الإيمان فعل الأعمال الواجبة، ولا ترك المحظورات البدنية، فإنَّ الإيمان لا يقبل الزيادة ولا النقصان، بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمقتصدين والمقربين والظالمين، فالمرجئة يقولون: الإيمان مجرد التصديق، والجهمية يقولون: مجرد المعرفة، والأعمال ليست من الإيمان، فإيمان أفسق الناس كإيمان الأنبياء والمرسلين، وقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب، فالخوارج والمعتزلة غلوا، والمرجئة والجهمية جفوا، وهدى الله أهل السُّنة والجماعة للقول الوسط، وهو أنَّ الإيمان والدين قول وعمل واعتقاد، وأنه يزيد وينقص، وأن صاحب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق

بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، وأما حكمه في الآخرة، فهو تحت مشيئة الله، إن شاء سبحانه عفا عنه، وأدخله الجنة، وإلا عُذِب بقدر ذنوبه ثم دخل الجنة، فلا بد له من دخول الجنة، هذا هو القول الصحيح الذي تدل عليه أدلة الكتاب والسُّنة، وعليه السلف الصالح والأئمة، ونحن متبعون لهم على هذا المعتقد الصحيح نعتقد ذلك وندين الله به، من غير شك ولا إرتياب، بل بيقين وتصديق جازم بهذا المعتقد، نسأل الله أنَّ يثبتنا على قول أهل السُّنة والجماعة، ونبرأ إلى الله من كل قول يخالف ما دلَّ عليه الكتاب والسُّنة والله اعلم.

قوله: الحرورية: هم الخوارج، سموا حرورية نسبة إلى قرية حروراء بالفتح والمد، قرية بالعراق قريبة من الكوفة اجتمعوا فيها حين خرجوا على عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسُمِّيَ الخوارج حرورية.

وأما المعتزلة فهم أصحاب واصل بن عطاء الغزال، اعتزل عن مجلس الحسن البصري، وأخذ يقرر أنَّ مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر، ويثبت له المنزلة بين المنزلتين. فقال الحسن: قد اعتزل عنا واصل، فسموا بالمعتزلة، ويلقبون بالقدرية لإسنادهم أفعال العباد إلى قدرتهم، ولقبوا أنفسهم بأصحاب العدل والتوحيد، لقولهم بوجوب الأصلح على الله، وقولهم بنفي الصفات، وبأن كلامه مخلوق محدث، وبأنه غير مرئي في الآخرة، ويجب عليه رعاية الحكمة في أفعاله، وثواب المطيع والتائب،

وعقاب صاحب الكبيرة، ثم افترقوا عشرين فرقة يكفر بعضهم بعضاً، وأما المرجئة والجهمية فقد تقدم ذكرهم.

قوله: وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة وبين الخوارج:

قوله: الرافضة: سمو الرافضة: من الرفض وهو الترك، لأنهم رفضوا زيد بن علي ابن الحسين بن أبي طالب.

وأما الشيعة: سموا بالشيعة لما افترق الناس فرقتين: فرقة شايعت ووالت عثمان رضي الله عنه، وفرقة شايعت علياً رضي الله عنه، ولم يكونوا يسمون رافضة في ذلك الوقت، وإنما سموا رافضة لما خرج زيد بن علي بن الحسين في الكوفة في خلافة هشام بن عبد الملك، فسألته الشيعة عن أبي بكر وعمر فترحم عليهما فرفضه قوم. فقال: رفضتموني فسموا رافضة، وتولاه قوم فسموا زيدية لانتسابهم إليه.

والرافضة من أخبث الطوائف، وقد حرقهم علي بن أبي طالب ونفاهم إلى البلدان، منهم عبدالله بن سبأ يهودي من أهل صنعاء نفاه إلى ساباط، وعبدالله ابن يسار نفاه إلى خَازِر، وهو يقع بين أربيل والموصل.

وبهذا تعلم الفرق بين الرافضة والشيعة، الشيعة لقب في الأصل للذين ألفوه في حياته كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمار وغيرهم، ثم صار

بعد ذلك لقباً على من يرى تفضيله على كل الصحابة، ويرى أموراً أُخرى لا يرضاها عليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولا أحدٌ من ذريته، بخلاف الرافضة فإنَّ أول من ابتدع الرفض عبدالله بن سبأ، وكان منافقاً زنديقاً أراد إفساد دين الإسلام.

وأما الخوارج فسموا بذلك لخروجهم على علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومفارقتهم له، فالخوارج هم أول من كفر المسلمين بالذنوب، وأول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة حدثتا في أثناء خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فعاقب الطائفتين، أما الخوارج فقاتلوه فقتلهم، وأما الشيعة فحرق غاليتهم بالنار، حيث زعموا أنَّ علياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إله، فدعاهم إلى التوبة والرجوع إلى الله فرفضوا فحرَّقهم، وسبب تحريقهم هو أنه لما أمر بتأجيج النار قال لعلهم إذا رأوا النار يرجعون ويتوبون فلم يفعلوا.

وأما عبدالله بن سبأ فطلبه ليقتله فهرب منه، وأمر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بجلد من يفضله على أبي بكر وعمر، وثبت من وجوه كثيرة، أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر.

فالخوارج والرافضة في أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في طرفي نقيض، فالرافضة غلوا في علي بن أبي طالب وأهل البيت، وكفروا الصحابة ومن والاهم وفسقوهم، وقالوا: لا ولاء إلا ببراء، أي لا يتولى أحد عليّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأما الخوارج فإنهم يكفرون علياً وعثمان ومن والاهما، وأما أهل السُّنة والجماعة فقولهم في الصحابة وسط لم يغلوا غُلوَّ الرافضة، ولم يَجْفُوا كالخوارج، بل والوا جميع الصحابة وأحبوهم وعرفوا فضلهم وأنزلوهم منازلهم التي يستحقونها، فلم يغمطوهم حقهم، ولم يغلوا فيهم واعتقدوا أنَّهم أفضل هذه الأمة علماً وعملاً، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، وجمعنا وإياهم في جنات النعيم، وهذا الذي نعتقده وندين الله به.

قوله: فصل: وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسوله، وأجمع عليه سلف الأمة من أنه سبحانه فوق سماواته على عرشه عالٍ على خلقه:

أي: وقد دخل في الإيمان بالله الإيمان بعلوه سبحانه وفوقيته واستوائه على العرش.

قوله: بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسوله: كما قال سبحانه: ﴿ **وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ**﴾، وقوله تعالى: ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِن فَوْقِهِمْ**﴾، وقد تقدم ذكر أنواع العلو والفوقية، وتقدم حديث الأوعال وغيره من الأحاديث الصحيحة في إثبات العلو والفوقية، وأدلة إثبات العلو والفوقية.

قوله: وأجمع عليه سلف الأمة: أي أجمع أهل السُّنة على أنَّ الله فوق عرشه على الحقيقة، قال أبو عمر الطلمنكي رَحِمَهُ اللَّهُ: أجمع أهل السُّنة على أنَّ الله على عرشه على الحقيقة لا على المجاز، ثم ساق بسنده عن مالك قوله: الله في السماء وعلمه في كل مكان، ثم قال: أجمع المسلمون من أهل السُّنة أنَّ معنى قوله: ﴿**وهو معكم أين ما كنتم**﴾ ونحو ذلك من القرآن: أنَّ ذلك علمه، وأن الله فوق السماوات بذاته مستو على عرشه، وهذا كثير في كلام الصحابة والتابعين والأئمة، فأثبتوا ما أثبته الله في كتابه وعلى لسان رسوله على الحقيقة على ما يليق بجلال الله وعظمته.

قوله: وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون: أي أنه سبحانه مع عباده بعلمه وإحاطته واطلاعه ومشاهدته، لا يخفى عليه منهم شيء، ومعيته سبحانه لعباده لا تنافي علوه وفوقيته، لأنه ليس كمثله شيء.

قوله: كما جمع بين ذلك في قوله: هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير: فأخبر سبحانه أنه خلق السماوات والأرض، وأنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يعلم ما هم عليه، وينفذ بصره فيهم، ويحيط فيهم علماً وقدرةً وسمعاً وبصراً.

قوله: وليس معنى قوله: وهو معكم. أنه مختلط بالخلق؛ فإنَّ هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق:

قوله: فإنَّ هذا لا توجبه اللغة: أي لغة العرب لا توجب أنَّ (مع) تفيد إختلاطاً أو إمتزاجاً أو مجاورة، فإنَّ مع في كلام العرب للصحبة اللائقة، كما في قوله تعالى: ﴿**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾، فليس في هذا ما يدل على الاختلاط والامتزاج، غاية ما تدل عليه المصاحبة، وهي في كل موضع بحسبه.

قوله: وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة: أي: لأن ما زعمه الملحدون من أنه سبحانه في كل مكان بذاته أو أنه مختلط بالخلق أو حال فيهم، إلى غير ذلك من أقوال أهل الضلال، مخالفة لما عليه السلف الصالح، فإنَّ السلف الصالح أجمعوا على أنَّ الله سبحانه مستوٍ على عرشه، عالٍ على خلقه بائن منهم ليس في ذاته شيء من مخلوقاته، ولا في مخلوقاته شيء من ذاته، كما تواترت عليه أخبار السلف.

فإن قال قائل فما معنى قوله: ﴿**مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلاَثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ**﴾.. الآية، قيل له: علمه معهم، والله على عرشه، وعلمه محيط بهم، كذا فسره أهل العلم، والآية يدل أولها وآخرها على أنه معهم بعلمه،

وهو على عرشه سبحانه، هذا قول أهل السُّنة والجماعة.

قوله: وخلاف ما فطر الله عليه الخلق: أي أنَّ ما زعموه من أنه سبحانه مختلط بالخلق أو حال فيهم خلاف ما فطر الله عليه الخلق، فإنَّ الخلق فُطِرُوا على الإقرار بعلوه سبحانه على خلقه، وجاءت الرسل بتقرير ما في الفطر والعقول، فالعقل الصحيح لا يخالف النقل الصريح، ولما سأل النبي ﷺ الجارية: (**أين الله؟**) قالت: في السماء.

قوله: بل القمر آية من آيات الله من أصغر مخلوقاته، وهو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان:

قوله: بل القمر آية: الآية لغة: العلامة. والآية، والدليل، والبرهان، والسلطان، والحجة، ألفاظ متقاربة، أي أنَّ القمر من الآيات الدالة على وجوده سبحانه وعظيم قدرته، وأنه المستحق للعبادة، والآيات، منها آيات مشاهدة مرئية، كالسماوات والأرض والشمس والقمر، ومنها آيات مسموعة متلوة كالقرآن العظيم.

فآياته العيانية في خلقه تدل على صدق آياته المسموعة المتلوة، كما في قوله تعالى: ﴿**سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ**﴾، أي أنَّ القرآن حق، فأخبر أنه يدل بآياته المرئية على صدق آياته المتلوة المسموعة.

قوله: وهو موضوع في السماء: أي القمر موضوع في السماء الدنيا.

قوله: وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان: أي القمر مع المسافر وغير المسافر، فإنه يقال ما زلنا نسير والقمر معنا أو النجم، والقمر في مكانه غير مختلط بهم، ولا محاذٍ، فإذا كان هذا القمر الذي هو من أصغر مخلوقات الله فكيف تكون حقيقة المعية في حق الرب جَلَّ وَعَلَا، فإنَّ غاية ما تدل عليه (مع) المصاحبة، وهي في كل موضع بحسبه، وقد ضرب النبي ﷺ مثلاً بذلك بالقمر ولله المثل الأعلى ولكن المقصود بالتمثيل بيان جواز هذا، وامكانه لا تشبيه الخالق بالمخلوق، فقال النبي ﷺ: ما منكم من أحد إلا سيرى ربه مخلياً به. فقال له أبو رزين العقيلي: كيف يا رسول الله وهو واحد ونحن جمع فقال النبي ﷺ: سأنبئك بمثل هذا في آلاء الله، هذا القمر كلكم رآه مخليا به، وهو آية من آيات الله، فالله أكبر أو كما قال النبي ﷺ، فشبه الرؤية بالرؤية، وإن لم يكن المرئي مشابهاً للمرئي، فالمؤمنون إذا رأوا ربهم يوم القيامة وناجوه كلٌ يراه فوقه قِبَل وجهه، كما يرى الشمس والقمر.

قوله: وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم، مطلع عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيته:

قوله: فوق العرش: كما قال سبحانه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾،

وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾، وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾.

قوله: رقيب على خلقه: قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ أي: أنَّهُ سبحانه مراقب لأحوالكم وأعمالكم لا يخفى عليه خافية.

قوله: مهيمن عليهم: قال ابن عباس: المهيمن أي الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم، كقوله سبحانه: ﴿وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾، وقوله مهيمن عليهم: إذا كان رقيباً على الشيء.

قوله: وكل هذا الكلام الذي ذكره الله من أنه فوق العرش وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف: إشارة للرد على المعطلة من الجهمية والمعتزلة وأشباههم الذين يزعمون أنَّ ما جاء من ذكر فوقيته وعلوه واستوائه على عرشه ليس بحقيقة، وإنما هو مجاز، فقولهم هذا قول باطل ترده نصوص الكتاب والسُّنة، وكلام الصحابة، والتابعين، وسائر الأئمة، يعتقدون أنَّ الله فوق كل شيء، وأنَّه العلي الأعلى، وأنَّه مستوٍ على عرشه، وليس مع من خالف سوى الظنون الكاذبة والشبه الفاسدة التي لا يعارض بها ما دل عليه نصوص الكتاب والسُّنَّة، وإجماع الأئمة، فأهل السُّنة يثبتون العلو لله عَزَّوَجَلَّ، كعلو الذات وعلو القهر وعلو القدر، وأنه ثابت بالكتاب والسُّنة، مع فطرة الله التي فطر العباد عليها.

وقوله: لا يحتاج إلى تحريف: إشارة للرد على الذين حرفوا الأدلة

وسموا تحريفهم تأويلاً، ترويجاً على الجهال، وهو في الحقيقة تبديل وتغيير لكلام الله ورسوله، فإنَّ ما جاء من الأدلة صريح لا يحتمل التأويل.

قوله: ولكن يصان عن الظنون الكاذبة مثل أنَّ يظن أنَّ ظاهر قوله: في السماء؛ أنَّ السماء تظله أو تقله، وهذا باطل بإجماع أهل العلم والإيمان:

قوله: تقله: أي تحمله وترفعه.

قوله: أو تظله: أي تستره والظلة الشيء الذي يظلك من فوق.

فإنه سبحانه عالٍ على كل شيء، وهو سبحانه بقوته وقدرته سخَّر للعرش حَمَلة، وهو غني سبحانه وتعالى عن العرش وحملته وعن كل مخلوق، فله الغِنَى التام والعلوَّ الكامل من كل الوجوه.

قوله: فإنه قد وسع كرسيه السماوات والأرض: لما ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ العلو والفوقية، وأنهما حقيقة ثابتة لله على ما يليق بجلاله وعظمته أورد بعد ذلك بعض الأدلة، فقال: (فإنَّ الله قد وسع كرسيه السماوات والأرض) أي: ملأ وأحاط، والكرسي مخلوق عظيم بين يدي العرش، وهو أعظم من السماوات والأرض، وهو بالنسبة إلى العرش كأصغر شيء، فإذا كانت السماوات والأرض بالنسبة للكرسي الذي هو بالنسبة إلى العرش شيء صغير فكيف بالخالق سبحانه الذي لا أجلَّ منه ولا أعظم، تعالى وتقدّس، فمن قال إنَّ السماوات والأرض تحويه أو تحوطه

أو تقله أو تظله فقوله قولٌ باطل وقد ضل ضلالاً مبيناً، وقال قولاً محرّماً، تعالى الله وتقدس عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

قوله: **وهو يمسك السماوات والأرض أنَّ تزولا:** أي أنَّ تضطربا عن أماكنهما.

قوله: **ويمسك السماء أنَّ تقع على الأرض إلا بإذنه:** أي إلا بأمره ومشيئته. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض).**

قوله: **فصل: وقد دخل في ذلك الإيمان بأنه قريب من خلقه مجيب؛ كما جمع بين ذلك في قوله:** وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان، وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إن الذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته: أي وقد دخل في الإيمان بالله جَلَّ وَعَلَا بأنه قريب مجيب كما جمع بين ذلك في الآية والحديث، فالآية قوله: ﴿**وإذا سألك عبادي عني فإني قريب**﴾، والحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(يا أيها الناس إربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً بصيراً، إنّ الذي تدعون أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته، يا عبدالله بن قيس ألا أعلمك كلمةً من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله)** هذا الحديث في الصحيحين.

وفي الحديث الندب إلى خفض الصوت بالذكر إذا لم تدع حاجة إلى رفعه فإنَّه إذا خفضه كان أبلغ في توقيره وتعظيمه، فإنَّ دعت الحاجة إلى الرفع رفع كما جاءت به أحاديث، كما في التلبية وغيرها مما ورد.

قوله: هو أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته: المراد به قرب الإحاطة والعلم، فإنَّ من أسمائه سبحانه القريب، وقربه سبحانه، قرب عام وهو إحاطة علمه بجميع الأشياء، وقرب خاص من داعيه بالإجابة، ومن عابديه بالإثابة، فالأول: كقوله: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ**﴾، والثاني كقوله ﷺ: (**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، وأقرب ما يكون الرب من عبده في جوف الليل**)، وهذا القرب لا ينافي كمال مباينته سبحانه لخلقه واستوائه على عرشه، بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب الأجساد بعضها من بعض، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، فإنه سبحانه: ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾.

قوله: وما ذكر في الكتاب والسُّنة من قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته؛ فإنه سبحانه ليس كمثله شيء في جميع نعوته، وهو علي في دنوه، قريب في علوه: أي أنَّ علوه سبحانه من لوازم ذاته، فلا يكون قط إلا عالياً، ولا يكون فوقه شيء ألبتة، كما قال ﷺ: وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وهو سبحانه قريب في علوه عالٍ في قربه، فأخبر ﷺ أنه

أقرب إلى أحدهم من عنق راحلته، وأخبر أنه فوق سماواته على عرشه مطلع على كل شيء يرى أعمالهم، وهذا حق لا يناقض أحدُهما الآخر، والذي يُسهِّل عليك فهم هذا، معرفة عظمته سبحانه وإحاطته بخلقه، وأنَّ السماوات السبع في يده كخردلة في يد العبد، فهو سبحانه ليس كمثله شيء، ويقرب من خلقه كيف شاء وهو على العرش.

قوله: في دنوه: أي قربه.

قوله: في نعوته: أي في صفاته، فالوصف والنعت مترادفان، وقيل متقاربان، فالوصف للذات والنعت للفعل.

قوله: فصل: ومن الإيمان بالله وكتبه الإيمان بأنَّ القرآن: كلام الله، منزَّل، غير مخلوق منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة: أي أنَّ من الإيمان بالله الإيمان بأن القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللهِ**﴾ الآية، وعن جابر ابن عبدالله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان يعرض نفسه في الموسم فيقول: (**ألا رجل يحملني إلى قومه لأبلغ كلام ربي**) (رواه أبو داود)، وهذه أدله صحيحة صريحة على أنَّ القرآن كلام الله لا كلام غيره، ولذا توعد الله من أنكر ذلك، وقال: ﴿**إِنْ هَذَا إِلاَّ قولُ البَشَرِ**﴾ قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ**﴾.

قوله: منزَّل: هذا رد لكلام الجهمية والمعتزلة ممن يقول: إنه لم ينزل منه سبحانه، فبين أنه منزَّل من الله ، قال تعالى: ﴿**تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾، وقال تعالى: ﴿**قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ**﴾ وروح القدس جبريل، وهو الروح الأمين المذكور في قوله تعالى: ﴿**نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ**﴾ فجبريل عليه السلام سمعه من الله، والنبي ﷺ سمعه من جبريل، والآية صريحة في ذلك، وصريحة في أنه تكلم به سبحانه، وأنه منه نزل، ومنه بدأ، وهو الذي تكلم به سبحانه.

قوله: غير مخلوق: أي أنَّ كلام الله غير مخلوق لأنه من صفاته ، ففي الصحيح عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال: (**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرَّه شيء حتى يرحل من منزله ذلك**) وهذا الحديث دليل على أنَّ كلمات الله غير مخلوقة، لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك، وقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ**﴾، وهذا الآية من الأدلة على أنَّ كلام الله غير مخلوق؛ لأنَّ كل مخلوق ينفد ويبيد، وكلماته لا تنفد ولا تبيد، وهذا الوصف لا يكون لمخلوق، فالقرآنُ كلامُ الله ووحيه وتنزيله، فمن زعم أنَّ القرآن مخلوق فقد خالف الكتاب والسُّنة وإجماع السلف، لأنه لم يقل أحد من السلف: إن القرآن مخلوق أو قديم، بل الآثار متواترة عنهم بأنَّهم يقولون: القرآن كلام الله مُنَزَّل غير

مخلوق، وأول من عرف أنَّه قال: القرآن مخلوق الجعد بن درهم، وصاحبه الجهم بن صفوان، وأول من عرف أنَّه قال: إنه قديم هو عبدالله بن سعيد ابن كُلاّب، ولا شك أنَّ مذهبهم باطل محرم ترده الآيات والسُّنة وإجماع سلف الأمة.

قوله: منه بدأ: أي خرج منه أي تكلم به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وقال سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾.

قال أبو بكر الصديق لأصحاب مسيلمة الكذاب لما سمع قرآن مسيلمة الكذاب: ويحكم أين يُذهب بعقولكم إنَّ هذا كلام لم يخرج من إلٍّ، أي من رب. وقال أحمد رَحِمَهُ اللهُ: كلام الله من الله ليس ببائن منه، وهذا معنى قول السلف: القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود، ومقصود السلف الرد على الجهمية، فإنهم زعموا أنَّ القرآن خلقه الله في غيره، فيكون قد بدأ وخرج من ذلك المحل الذي خلق فيه لا من الله، كما يقولون في قولهم الباطل كلامه لموسى خرج من الشجرة، فبين السلف والأئمة أنَّ القرآن من الله بدأ وخرج.

قوله: وإليه يعود: أي يرجع، بأن يُسرى به في آخر الزمان، ويُرفع فلا يبقى في الصدور ولا في المصاحف منه آية، كما جاء ذلك في الآثار، وهو من أشراط الساعة، كما جاء عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ موقوفاً أنَّه قال: يُسرى

على القرآن فلا يبقى في المصاحف منه آية ولا في الصدور آية. (أخرجه الطبراني وأخرجه ابن ماجه عن حذيفة وأخرجه الديلمي عن معاذ).

قوله: وأن الله تكلم به حقيقة: قد تكاثرت الأدلة على أنَّ الله نادى وناجى وأمر ونهى، وكل هذا دال على أنَّه سبحانه تكلم حقيقة لا مجازا، وأما من ادعى المجاز فقد شاقَّ الله ورسوله والمؤمنين، فالقرآن كلام الله حروفه ومعانيه.

وفي قوله: **حقيقة**: رد على من زعم أنَّ كلامه سبحانه معنى واحد قام بذات الباري لم يسمع منه، وأنَّ الملك فهم منه معنى قائماً بنفسه، لم يسمع منه قولاً ولا صوتاً، بل فهم معنى مجرداً ثم عبر عنه، وهذا القول باطل محرّم، وقد رد هذا القولَ شيخُ الإسلام ابن تيمية من تسعين وجهاً، كل واحد يدل على بطلانه بأدلة نقلية وعقلية قال ابن القيم:

تِسعونَ وَجْهًا بَيَّنَتْ بُطلانَه

أَعْنِي كلامَ النَّفْسِ ذا البُطلانِ

قوله: وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة: أي لقوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾، وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ

الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلاَمَ اللهِ**﴾، والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: ﴿**وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً**﴾، فعلِم أنَّ عدم التكلم نقص فاستدل به على عدم ألوهية العجل.

قال البخاري في صحيحه: (**باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة**) وساق فيه عدة أحاديث، فأفضل نعيم الجنة رؤية وجهه سبحانه وتكليمه، قال تعالى: ﴿**سَلاَمٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ**﴾.

وقوله: ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله أو عبارة:

أي لا يجوز القول بذلك، لأنه قول باطل محرّم، وهو قول الأشاعرة والكلابية، فالأشاعرة يقولون: إنَّ هذا القرآن المقروء عبارة عن كلام الله، والكلابية يقولون: حكاية عن كلام الله، ومعنى قولهم هذا: أنَّ القرآن نوعان ألفاظ ومعاني، فالألفاظ مخلوقة وهي هذه الألفاظ الموجودة، والمعاني قديمة قائمة بالنفس، وهي معنى واحد لا تبعض فيه ولا تعدد، إنْ عبر عنه بالعربية كان قرآناً، وإنْ عبر عنه بالعبرانية كان توراةً، أو بالسريانية كان إنجيلاً، وهذا القول باطل لأنه مخالف للأدلة من الكتاب والسُّنة.

ولذا اتفق السلف على أنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، تلقاه جبريل عن الله وبلَّغه جبريل إلى محمد ﷺ وبلغه محمد إلى أمته، قال الله سبحانه: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ﴾، ولم يقل يسمع ما هو عبارة عن كلام الله أو حكاية والأصل الحقيقة، قال ابن القيم في النونية:

زَعَمُوا القُرآنَ عبارةً وحكايةً

قُلنا كما زَعَموه قرآنانِ

هَذا الذي نَتلُوه مخلوقٌ كما

قال الوليدُ وبعدَه الفِئَتانِ

والآخرُ المعنى القديمُ فقائمٌ

بالنَّفسِ لم يُسمعْ مِن الدَّيَّانِ

ودَليلُهم في ذَاكَ بيتٌ قالَه

فيما يُقالُ الأخطلُ النَّصراني

والحق الذي لا شك فيه ولاريب أنَّ القرآن كلام الله، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ * فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ﴾، وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾، فالقرآن كلام الله حق حيث تلاه

التالون أو حفظه الحافظون أو كتبه الكاتبون، وهو معجزة بلفظه ومعناه.

قوله: **بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف؛ لم يخرج بذلك عن أنَّ يكون كلام الله تعالى حقيقة، فإنَّ الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً:**

قال تعالى: ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ**﴾: وكلامه سبحانه يكون بغير واسطة، كما سمع موسى بن عمران عليه السلام كلام الرب، وكما يسمع جبريل وغيره كلامه سبحانه وتكليمه، ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان.

وقد يكون بواسطة الرسول صلى الله عليه وسلم كسماع الصحابة، ومنه قوله تعالى: ﴿**فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللهِ**﴾، وكما في الحديث أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ألا رجل يحملني إلى قومه حتى أبلغ كلام ربي فإنَّ قريشاً قد منعوني أنَّ أُبَلِّغ كلام ربي)** (رواه أبو داود والترمذي)، وكما قال أبو بكر الصديق لما خرج على قريش فقرأ: ﴿**أَلَم * غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾، فقالوا: هذا كلامك أو كلام صاحبك، فقال: ليس بكلامي ولا بكلام صاحبي، وإنما هو كلام الله (رواه الترمذي)، فبيَّن أنَّ ما يُبلِّغه ويتلوه هو كلام الله، وإن كان يُبلِّغه بأفعاله وصوته.

قوله: **وهو كلام الله سبحانه:** لأنه هو الذي أنشأه وتكلم به، وإنما

الرسول يبلغ كلام مُرسله، قال سبحانه عن الوليد بن المغيرة: ﴿**إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ**﴾، فتوعده الله عَزَّوَجَلَّ بقوله: ﴿**سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ**﴾ الآية.

قوله: وهو كلام الله حروفه ومعانيه: أي ليس شيء منه كلاماً لغيره، لا لجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا لغيرهما، بل إنّ القرآن عين كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف، عكس ما عليه أهل البدع من المعتزلة والأشاعرة والكلابية وغيرهم؛ **والصواب**: أنَّ الكلامَ حقيقةٌ في اللفظ والمعنى، كما أنَّ الإنسان حقيقةٌ في البدن والروح، فالنزاع في الناطق كالنزاع في منطقه.

قوله: ليس كلام الله الحروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف: أي أنَّ القرآن كلام الله، حروفه ومعانيه، ليس كلام الله الحروف دون المعاني كما يقوله بعض المعتزلة، ولا المعاني فقط دون الحروف، كما هو قول الأشاعرة ومن شابههم، فالقولان باطلان مخالفان للكتاب والسُّنة وما عليه سلف الأمة، والحق أنَّ القرآن جميعه حروفه ومعانيه تكلم الله به عَزَّوَجَلَّ حقيقة، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ**﴾، فأبطل الله سبحانه قول الكفار بقوله سبحانه: ﴿**لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ**﴾ وأما القرآن الذي نزل به جبريل من عند الله وسمعه من الله وبلغه إلى رسوله

ﷺ فقال عنه: ﴿وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾.

قوله: **فصل: وقد دخل أيضا فيما ذكرناه من الإيمان به وبكتبه وبملائكته وبرسله: الإيمان بأنَّ المؤمنين يرونه يوم القيامة عِيانا بأبصارهم كما يرون الشمس صحواً ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر لا يضامون في رؤيته:**

قوله: وقد دخل فيما ذكرناه: أي دخل في الإيمان بالله وبكتبه وملائكته ورسله الإيمان بأن المؤمنين يرونه سبحانه يوم القيامة، فمن لم يؤمن بأنَّه سبحانه يُرى يوم القيامة فقد ردَّ أدلة الكتاب والسُّنة، وخالف ما عليه سلف الأمة وأئمتها.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: من زعم أنَّ الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذّب بالقرآن، ورد على الله أمره يستتاب.

وقال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ: إنّ المؤمنين يرون رَبهم وخالِقَهم يوم المعاد، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين.

فالحق أنَّ الله جَلَّ جَلَالُهُ يُرى يوم القيامة بالأبصار عِيانا كما يرى القمر ليلة البدر، وكما تُرى الشمس صحواً ليس دونها سحاب.

قوله: **بأن المؤمنين يرونه:** وهذا بخلاف الكفار، فإنَّهم لا يرونه

سبحانه قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾، قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لما أنَّ حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أنَّ أولياءه يرونه في حال الرضا، وكما دل عليه المنطوق في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وكما دلت على ذلك الأحاديث المتواترة في رؤية المؤمنين لربهم في الدار الآخرة بالأبصار في عرصات القيامة، وفي روضات الجنات، نسأل الله الكريم من فضله، ويمنَّ علينا برؤيته جَلَّ وَعَلَا.

قوله: يوم القيامة: في هذا أنَّ رؤية الله عَزَّ وَجَلَّ للمؤمنين لربهم تكون في الآخرة، لا كما يقوله بعض المتصوفة أنَّهم يرونه في الدنيا، وهذا قولٌ باطل ترده الأدلة الصحيحة، كما في صحيح مسلم مرفوعاً: **(واعلموا أنكم لن ترو ربكم حتى تموتوا)**، فالحق أنَّ الله سبحانه لا يراه أحدٌ بعينه في الدنيا وإنَّما الرؤية تكون يوم القيامة.

قوله: عِيانا بأبصارهم: بكسر العين، أي: ترونه رؤية محققة لا خفاء فيها.

وقوله: صحواً: أي: انقشع عنها الغيم.

وقوله: كما ترون: تشبيه للرؤية بالرؤية، فإنَّ الكاف حرف تشبيه دخل على الرؤية ولم يشبه المرئي، فإنه سبحانه لا شبيه له ولا مثيل ولا نظير له،

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أنَّ أناساً قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة فقال رسول الله ﷺ: هل تُضارَّون في رؤية القمر ليلة البدر قالوا: لا يا رسول الله، قال: هل تُضارَّون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب قالوا: لا، قال: فإنَّكم ترونه كذلك.

ففي هذا الحديث إثبات الرؤية، والردُ على من أنكرها صراحة وهم الجهمية والمعتزلة والرافضة والإباضية، والرد على الأشاعرة القائلين بأنَّه سبحانه يرى من غير مواجهة ولا معاينة، وإنَّما الرؤية عندهم رؤية علمية بمعنى العلم واليقين والكشف.

وهذا قول باطل انفردوا به دون سائر طوائف الأمة، وفساد هذا القول معلوم بالضرورة، لأنه نفي للرؤية في حقيقة معناه لأنهم يقولون أنَّهم يرونه بقلوبهم لا بأبصارهم.

ومعنى: لا تضامون في رؤيته: يروى بالتشديد والتخفيف، فالتشديد معناه لا ينضم بعضكم إلى بعض، وتتزاحمون وقت النظر إليه، ويجوز ضم التاء وفتحها، ومعنى التخفيف لا ينالكم ضيم في رؤيته، فيراه بعضكم دون بعض، والضيم الظلم، بل ترونه جميعاً كما ترون الشمس وترون القمر، وأما من زعم أنَّ الحديث يدل على أنَّهم يرونه لا في جهة، فهذا قول باطل وهو تفسير منكر، فإنَّ الحديث يدل صراحةً على أنَّه سبحانه

يتجلى تجلياً ظاهراً، فيرونه كما تُرى الشمس والقمر بلا ضيم يلحقهم في رؤيته.

قوله: يرونه سبحانه وهم في عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة كما يشاء الله تعالى:

قوله: يرونه في عرصات القيامة: كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وفي أفراد مسلم عن جابر في حديثه: إن الله يتجلى للمؤمنين يعني في عرصات القيامة.

قوله: العرصات: جمع عرصة، وهي كل موضع واسع لا بناء فيه، وعرصات القيامة مواقف الحساب والعرض وغير ذلك، ويرونه بعد دخول الجنة نسأل الله الكريم من فضله، كما في حديث صهيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله تبارك وتعالى تريدون شيئاً أزيدكم فيقولون ألم تبيِّض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار، فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم**). (رواه مسلم).

ففي هذا الحديث إثبات صفة الكلام لله عَزَّ وَجَلَّ، وإثبات الرؤية، وإثبات العلو، والمعطلة تنكر هذه الثلاث وتكفر القائل بها.

وأما ما أستدل به المعتزلة وغيرهم من نفاة الرؤية من قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾، فالجواب: أنَّ الله جَلَّ وَعَلَا يُرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به، وهذا الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، قال ابن عباس: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ﴾ أي لا تحيط به، وقال قتادة: هو أعظم من أنَّ تدركه الأبصار.

قوله: **كما يشاء الله:** أي من غير إحاطة ولا تكييف، كما في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ وفسرته السُّنة على ما أراد الله سبحانه وعلمه، وكل ما جاء في الكتاب والسُّنة فهو كما قال ومعناه على ما أراد سبحانه، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، قال الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قوله: **فصل: ومن الإيمان باليوم الآخر:** سمي باليوم الآخر، والإيمان به التصديق بما يقع من الحساب، والميزان، والجنة، والنار، وغير ذلك. واليوم الآخر: سُمِّيَ باليوم الآخر لتأخره عن الدنيا، وهو أحد أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره.

قوله: **الإيمان بكل ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مما يكون بعد الموت:** أي من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وإعادة الروح إلى الميت، فيؤمنون بما يقع في

البرزخ، **والبرزخ لغةً**: الحاجز بين الشيئين، **وفي الشرع**: البرزخ من وقت الموت إلى القيامة من مات دخله، وسمي برزخاً لكونه يحجز بين الدنيا والآخرة.

قوله: فيؤمنون بفتنة القبر، الفتنة: الامتحان والاختبار، فإنَّ الناس يمتحنون في قبورهم كما جاء في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ.

قوله: وبعذاب القبر ونعيمه، لأنه يجب اعتقاد ذلك والإيمان به، ولا يتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته؛ لكونه لا عهد له به في هذه الدار، وقد أنكر الخوارج والمعتزلة وبعض المرجئة ذلك.

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ في ذلك، ففي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت النبي ﷺ عن عذاب القبر قال: (**نعم عذاب القبر حق**)، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنَّه كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن: (**اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وعذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال**)، وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرَّ النبي ﷺ بقبرين فقال: (**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى إنَّه كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**)، والعذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً.

قوله: فأما الفتنة؛ فإنَّ الناس يفتتنون في قبورهم: أي يمتحنون في قبورهم، بأنْ تُعاد إليهم أرواحهم، كما جاء ذلك في الأحاديث الصحيحة لحديث أنس (رواه مسلم) وحديث البراء (رواه أحمد)، فتعاد إليه روحه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا ليسأل ويمتحن في قبره، فإنَّ في البرزخ إعادة خاصة توجب حياة البدن يوم القيامة، فإنَّ الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق متغايرة الأحكام:

أحدها: تعلقها به في بطن الأم جنيناً.

الثاني: تعلقها به بعد خروجه إلى الأرض.

الثالث: تعلقها به حال النوم، فلها تعلق به من وجه ومفارقة من وجه.

الرابع: تعلقها به في البرزخ، فإنَّها وإن فارقته وتجردت عنه فإنها لم تفارقه فراقاً كلياً.

الخامس: تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهذا أكمل أنواع تعلقها بالبدن.

قوله: فيقال للرجل: أي للإنسان من رجل وامرأة كما وردت الأدلة أنَّه يمتحن في قبره، أي يقول له الملكان: من ربك وما دينك و من نبيك، كما روى البخاري ومسلم من حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي

ﷺ في قوله ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ الآية، نزلت في عذاب القبر، زاد مسلم: فيقال له من ربك فيقول ربي الله ونبيي محمد فذلك ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ**﴾ الآية.

وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنَّه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنَّه عبد الله ورسوله، فيقال له انظر مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، قال: فيراهما جميعاً يعني المقعدين**).

قال قتادة: ذُكر لنا أنَّه يُفْسَح له في قبره، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما تقول في هذا الرجل فيقول لا أدري كنت أقول ما يقول الناس، فيقال لا دريت ولا تليت ويضرب بمطراق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعه من يليه غير الثقلين.

قوله: فإنَّ الناس يفتتنون: ظاهره أنَّ السؤال في القبر عام للمؤمن والكافر والمنافق، خلافاً لمن قال: لا يسأل إلا مؤمنٌ أو منافق، لقوله تعالى: ﴿**يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ**﴾، وفي البخاري: (**وأما الكافر والمنافق فيقول لا**

أدري)، ورجحه ابن حجر، ويفيد أيضاً أنَّ السؤال عام للأمم كلها، ليس خاصاً بهذه الأمة، كما اختاره ابن القيم وغيره، ويُستثنى المرابط في سبيل الله، فقد صح أنَّه لا يُفتن في قبره، كما في صحيح مسلم وغيره، وشهيد المعركة ومن مات في وجع بطنه وغيرهم لحديث: من يقتله بطنه فلن **يعذب في قبره.** (رواه أحمد والترمذي وحسنه النسائي وصححه الألباني).

قوله: في قبورهم: من فتنة السؤال وضغطة القبر وغير ذلك، وعذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات، وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه من ذلك قُبر أو لم يقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رماداً أو نُسف في الهواء أو غَرق في البحر، وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور.

قوله: فيقال للرجل: أي للإنسان من ذكر وأنثى كما وردت الأدلة أنَّه يمتحن في قبره.

قوله: فيقولان له: أي أنَّ الملائكة الذين يَسألون في القبر اثنان.

قوله: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة: وهذه نزلت في سؤال المكلفين في القبر، كما قاله الجمهور، قال الطبري: يثبتهم في الدنيا على الإيمان حتى يموتوا، وفي الآخرة عند المسألة.

وقوله: بالقول الثابت: أي على كلمة التوحيد، وثبوتها تمكنها بالقلب،

واعتقاد حقيقتها، واطمئنان القلب بها، وتثبيتهم في الآخرة أنَّهم إذا سئلوا في القبر لم يتوقفوا في الجواب، وكذلك إذا سئلوا في الحشر، وعند موقف الأشهاد عن معتقدهم ودينهم لم تدهشهم أهوال يوم القيامة، فالمرء على قدر ثباته في الدنيا يكون ثباته في القبر وما بعده.

وقوله: وأما المرتاب؛ فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته؛ فيضرب بمرزبة من حديد، فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان؛ لصعق ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب، إلى أنَّ تقوم القيامة الكبرى فتعاد الأرواح إلى الأجساد:

قوله: وأما المرتاب: أي الشاك، فيقول: هاه هاه: هي كلمة توجع، وقيل: أنَّه كأنه يستذكر شيئاً نسيه.

قوله: فيضرب بمرزبة من حديد: قال في النهاية: المرزبة بالتخفيف: المطرقة الكبيرة التي للحداد.

قوله: يسمعها كل شيء إلا الإنسان: كما في الحديث (فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين) أي الجن والإنس.

قوله: لصعق: أي لو سمعه الإنسان لخرَّ ميتاً، وغشي عليه.

قوله: ثم بعد هذه الفتنة إما نعيم وإما عذاب: المراد أنَّه لا بدَّ من أحد

الأمرين، ولا يعني هذا دوام العذاب نعوذ بالله من عذاب القبر، فإنَّ الناس بالنسبة لدوام عذاب القبر وعدمه، منهم من يكون عذابه دائماً لا ينقطع، كما قال سبحانه: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِياًّ**..﴾ الآية، وكما في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة. (رواه أحمد).

ومنهم من يعذب مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه، وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو غير ذلك من الأسباب.

قوله: إلى أنَّ تقوم القيامة الكبرى: أي بعد ما ينفخ في الصور نفخة البعث.

قوله: الكبرى: خروجاً عن القيامة الصغرى، وهي الموت، قال القرطبي رحمه الله: القيامة قيامتان صغرى وكبرى، **فالصغرى**: ما تقوم على كل إنسان في خاصته من خروج روحه وانقطاع سعيه وحصوله على عمله، **وأما الكبرى**: فهي التي تعم الناس وتأخذهم أخذة واحدة، قيل: سمي ذلك اليوم يوم القيامة لكون الناس يقومون من قبورهم، كما روى مسلم في صحيحه مرفوعاً: يقوم الناس لرب العالمين، قال يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه.

قوله: فتعاد الأرواح إلى الأجساد: وذلك حين ينفخ إسرافيل في الصور نفخة البعث والنشور، قال تعالى ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ**﴾ وإذا أطلق النفخ في الصور فالمراد به نفخة البعث، والروح هي ما يحيا بها الإنسان، وهي من أمر الله، كما قال سبحانه:﴿**قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي**﴾.

قوله: وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين، حفاةً عراةً غرلاً، وتدنو منهم الشمس، ويلجمهم العرق:

قوله: فيقوم الناس من قبورهم: كما قال سبحانه ﴿**يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ وكما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر مرفوعا: يوم يقوم الناس لرب العالمين قال: يقوم الناس حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى نصف أذنه.

قوله: حفاةً: جمع حاف، وهو الذي ليس عليه نعل ولا خف، وفي البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب على المنبر يقول: إنكم ملاقو ربكم حفاةً عراةً غرلا وزاد في رواية (مشاةً). وفي رواية فيهما قال: قام رسول الله فينا بموعظة، فقال: (**يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاةً عراةً غرلا، كما بدأنا أول خلق**

نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين).

قوله: عراةً: وهو الذي ليس عليه لباس، كما في الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قلت: يا رسول الله، الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض قال: الأمر أشد من أنَّ يهمهم ذلك.

قوله: غُرْلاً: بضم الغين، وإسكان الراء، وهو الأقلف.

واعلم أنَّ مراتب المعاد: البعث ثم النشور، ثم المحشر، ثم القيام لرب العالمين، ثم العرض، ثم تطاير الصحف، وأخْذها باليمين أو الشمال، ثم السؤال ثم الشفاعة ثم الحساب ثم الميزان ثم الحوض ثم الصراط ثم القنطرة ثم الجنة.

قوله: تدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق: أي تقرب منهم الشمس حتى تكون قدر ميل أو ميلين، كما روى مسلم عن المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: (**إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أو ميلين**)، قال: فتصهرهم الشمس فيكونون في العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى عقبيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً.

قوله: عقبيه: هو مؤخر القدم.

وقوله: **حقويه**: الحقو معقد الإزار.

قوله: **يلجمهم العرق**: أي يصل إلى أفواههم فيصير لهم بمنزلة اللجام يمنعهم عن الكلام، كما في الصحيحين عن أبي هريرة مرفوعاً: يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم فهذا اليوم العظيم، فيه من الأهوال العظيمة والشدائد الجسيمة ما يُذيب الأكباد، ويُذهل المراضع، ويُشيب الأولاد، قال الله تعالى: ﴿**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللهِ شَدِيدٌ**﴾، ويستثنى من ذلك الأنبياءُ والشهداءُ ومن شاء الله من المؤمنين.

وقوله: **يوم ترونها تذهل كل مرضعة**: وذلك يوم القيامة كما جاء ذلك في الكتاب والسُّنة، ونسأل الله سبحانه أنَّ يجعلنا من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

قوله: **فتنصب الموازين، فتوزن بها أعمال العباد، فمن ثقلت موازينه فأؤلئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون**:

في هذا إثبات الميزان، ووجوب الإيمان به، وأنه ميزان حقيقي له كفتان، كما في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:

(إنَّ موسى عليه السلام قال يا رب: علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به قال قل يا موسى لا إله إلا الله، قال يا رب: كل عبادك يقولون هذا قال يا موسى: لو أنَّ السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفه ولا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله) (رواه ابن حبان والحاكم).

وقوله: وتنصب الموازين: كما في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: **(الطهور شطر الإيمان والحمد لله تملأ الميزان الحديث)**، وأخرج أبو داود والترمذي وصححه ابن حبان عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: **(ما يوضع في الميزان أثقل من خلق حسن)**، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: **(كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم)**، وفي الحديث: **(يُؤْتَى يوم القيامة بالرجل السمين فلا يزن عند الله جناح بعوضة، ثم قرأ قوله سبحانه: ﴿فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**.. الآية.

قال ابن كثير رحمه الله: وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحاً، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالّها، وتارة يوزن فاعلها.. والله أعلم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أنَّ يكون بعد المحاسبة، فإنَّ المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها.

قوله: فمن ثقلت موازينه: أي رجحت حسناته على سيئاته.

قوله: فأؤلئك هم المفلحون: أي الذين فازوا فنجوا من النار وأُدخلوا الجنة، والفلاح هو الفوز والظفر، والحصول على المطلوب.

قوله: ومن خفت موازينه: أي ثقلت سيئاته على حسناته **(فأولئك الذين خسروا أنفسهم)** أي: خابوا ونالوا الصفقة الخاسرة.

وقوله: في جهنم خالدون: أي ماكثون فيها دائمون، والخلود هو المكث الطويل.

وفي هذا إثبات الميزان والرد على المعتزلة الذين أنكروه، وقالوا: الميزان عبارة عن العدل، وهذا تأويل فاسد مخالف للكتاب والسُّنة والإجماع.

قوله: وتنشر الدواوين، وهي صحائف الأعمال، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره؛ كما قال سبحانه وتعالى: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً:

قوله: **وتنشر الدواوين:** وهو الذي تكتب فيه أعمال العباد، وهي صحائف الأعمال، والمراد بها هنا: الكتب التي كتبتها الملائكة وأحصوا ما فعله كل إنسان من سائر أعماله القولية والفعلية.

قال تعالى: ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾، فيجب الإيمان بنشر الصحف وأخذها بالأيمان أو بالشمائل، لثبوت ذلك بالكتاب والسُّنة والإجماع، وروى أحمد والترمذي عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فعرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تطاير الصحف، فمن أوتي كتابه بيمينه وحوسب حساباً يسيراً دخل الجنة، ومن أوتي كتابه بشماله دخل النار**).

وقوله سبحانه وتعالى: وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه: أي أنَّ عمل الإنسان محسوب عليه قليله وكثيره، ويكتب عليه ليلاً ونهاراً، كما قال سبحانه: ﴿**مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ**﴾.

وقوله: في عنقه: أي أنَّ عمله لازم له لزوم القلادة، لا ينفك عنه.

قوله: ونخرج له يوم القيامة كتاباً: أي صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات.

قوله: يلقاه منشوراً: أي يراه الإنسان منشوراً، مفتوحاً يقرؤ فيه جميع عمله من أول عمره إلى آخره، قال تعالى: ﴿**يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾.

قوله: اقرأ كتابك: أي كتاب أعمالك وما كان منك.

قوله: كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً: أي محاسباً، وهو توقيف الله العباد قبل الانصراف من المحشر على أعمالهم خيراً كانت أو شراً إلا من استثنى منهم، وهو ثابت بالكتاب والسُّنة، فيجب اعتقاده والإيمان به، قال تعالى: ﴿**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَوَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لاَ يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾، وفي الصحيحين من حديث عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله ﷺ: من نوقش الحساب عُذِّب، قالت: فقلت: أليس يقول الله: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ فقال: إنما ذلك العرض، وليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك والمعنى: أنَّه لو نوقش العبد في حسابه، لهلك أي: لعُذِّب ولكن سبحانه يعفو ويصفح.

قوله: ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن، فيقرره بذنوبه؛ كما وصف ذلك في الكتاب والسُّنة، وأما الكفار؛ فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم:

قوله: **ويحاسب الله الخلائق:** يستثنى من ذلك من يدخل الجنة بغير حساب، كما في البخاري من حديث ابن عباس في السبعين ألف الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

قوله: **ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه:** أي يخلو سبحانه بعبده ويقرره بذنوبه، كما في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول: عملت كذا وكذا، فيقول: نعم، فيقرره ثم يقول: إني سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون وهم الكفار والمنافقون فينادى بهم على رءوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين.

قوله: **وأما الكفار فلا يحاسبون:** أي: أنَّ الكافر ليس له حسنات توزن، فإنَّ أعمالهم حابطة باطلة لأنها فاقدة لشروط العبادة التي هي الإخلاص والمتابعة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿**فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا**﴾، وأجمع

العلماء على أنَّ الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يجازى بشيء من ثواب الدنيا متقرباً به إلى الله، وإنما يُطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي بما فعله متقرباً به إلى الله مما لا تفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها، وأما المؤمن فيدَّخر له أيضاً حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ويُجزى بها مع ذلك في الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده.

قوله: **ولكن تعد أعمالهم، فتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها**: أي أنَّ الكفار تحسب أعمالهم ويخبرون بها ويقررون بها، كقوله تعالى: ﴿**يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ**﴾ الآية.

قوله: **وفي عرصات القيامة الحوض المورود للنبي ﷺ، ماؤه أشد بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، طوله شهر، وعرضه شهر، من يشرب منه شربة؛ لا يظمأ بعدها أبداً**:

قوله: **وفي عرصات**: بوزن ضربة، وهي كل بقعة في أرض واسعة ليس فيها بناء، وعرصات القيامة مواقفها من العرض والحساب وغير ذلك، والحوض لغة: مجمع الماء، والمراد به هنا هو ما ذكره المصنف، وتواترت

الأحاديث في إثبات الحوض، وهو حق ثابت قد أنكره الخوارج وبعض المعتزلة، روى البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: إن قدر حوضي ما بين أيلة إلى صنعاء اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء، وروى البخاري ومسلم عن جندب بن عبدالله البجلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أنا فرطكم على الحوض. والفرط الذي سبق إلى الماء، وفي الصحيحين وغيرهما من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منه لا يظمأ أبدا، وفي رواية: حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الورِق.

قوله: الحوض المورود للنبي ﷺ: وهذا الحوض في الأرض وماؤه من الجنة وأما الكوثر فهو نهر في الجنة وماؤه ينزل في هذا الحوض الذي في الأرض من طريق ميزابين كما في الحديث يصب فيه ميزابان وهو خاص به ﷺ دون غيره من الأنبياء والمرسلين وأما حديث أنَّ لكل نبي حوضاً فأسانيده ضعيفة، واختلف في الميزان والحوض أيهما يكون قبل الآخر، فقيل: الميزان، وقيل: الحوض لأن الناس يخرجون عطاشا من قبورهم فيُقَدَّم قبل الميزان والصراط، وقد روى مسلم في صحيحه عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينا رسول الله بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه

مبتسماً، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله قال أنزلت علي آنفاً سورة، فقرأ (**إنا أعطيناك الكوثر**)، ثم قال: أتدرون ما الكوثر قلنا: الله ورسوله أعلم قال: (**فإنَّه نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير، وهو حوضي ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء يختلج العبد منهم فأقول يا رب إنه من أمتي فيقال: أما تدري ما أحدثوا بعدك**).

قوله: **والصراط منصوب على متن جهنم، وهو الجسر الذي بين الجنة والنار، يمر الناس عليه على قدر أعمالهم فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عدوا، ومنهم من يمشي مشيا، ومنهم من يزحف زحفا، ومنهم من يخطف خطفا ويلقى في جهنم؛ فإنَّ الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مر على الصراط؛ دخل الجنة، فإذا عبروا عليه؛ وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هذبوا ونقوا؛ أذن لهم في دخول الجنة**:

قوله: **الصراط**: هو جسر منصوب على متن جهنم، وذلك بعد مفارقة الناس للموقف وحشرهم وحسابهم يمرون على الصراط على قدر أعمالهم، فمن نجا ذهب إلى الجنة، ومن لم ينج سقط في النار.

قوله: **يمر الناس عليه**: لأنَّهم يكونون في سرعة المرور على حسب

استقامة الإنسان وثباته على دين الإسلام، فمن ثبت على الصراط المعنوي الذي هو دين الإسلام ثبت على الصراط الحسي المنصوب على متن جهنم، فيجب الإيمان به واعتقاد ثبوته.

ففي الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: (**يضرب الصراط بين ظهري جهنم ويمر المؤمنون عليه فِرقاً، فمنهم كالبرق، ثم كمَّر الريح، ثم كمَّر الطير وأشدّ الرجال حتى يجيء الرجل ولا يستطيع السير إلا زحفاً، وفي حافتيه كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت بأخذه، فمخدوشٌ ناجٍ، ومكردسٌ في النار**) نعوذ بالله من النار.

قوله: وهو الجسر: بفتح الجيم وكسرها لغتان للصراط.

قوله: على قدر أعمالهم: أي أنَّهم يكونون في سرعة المرور على حسب ذلك.

قوله: فإنَّ الجسر عليه كلاليب: وهي حديدة معطوفة الرأس يعلق فيها اللحم ويرسل إلى التنور.

قوله: تخطف الناس بأعمالهم: أي تخطفهم بسبب أعمالهم السيئة.

قوله: فإذا عبروا عليه وقِفوا على قنطرة: وذلك لما في الصحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**يخلص المؤمنون من**

النار فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة، فو الذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا).

قوله: **عبروا**: أي مضوا ونجوا من السقوط في النار نعوذ بالله منها بعد ما جاوزوا الصراط.

قوله: **على قنطرة**: القنطرة الجسر وما ارتفع من البنيان، قيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: القنطرة صراط خاص بالمؤمنين، وليس يسقط أحد منهم في النار.

قوله: **فيقتص لبعضهم من بعض**: أي يُستَوفَى من بعضهم للآخر.

قوله: **فإذا هذبوا ونقوا**: وهو التخليص من التبعات.

قوله: **أذن لهم في دخول الجنة**: أي فلا يبقى في قلوب بعضهم على بعض شيء، فيدخلون الجنة وقد ذهب ما في قلوب بعضهم على بعض من الغل، قال تعالى: ﴿**وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ**﴾.

قوله: **وأول من يستفتح باب الجنة محمد ﷺ**: أي يطلب الفتح للجنة كما في الصحيح عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: آتى باب الجنة

يوم القيامة فأستفتح يقول الخازن: من أنت، فأقول: (**محمد**)، فيقول: (**بك أمرت أنَّ لا أفتح لأحد قبلك**)، وفي رواية: (**وأنا أول من يقرع باب الجنة...**) الحديث.

قوله: وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته؛ كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: نحن السابقون الأولون يوم القيامة، بيد أنَّهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة**).

قال ابن القيم رحمه الله: فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض، وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة، فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد صلى الله عليه وسلم، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته، وأما أول الأمة دخولاً فأبو بكر الصديق رضي الله عنه كما رواه أبو داود في السنن عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

قوله: وله صلى الله عليه وسلم في القيامة ثلاث شفاعات؛ أما الشفاعة (الأولى): فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أنَّ يتراجع الأنبياء؛ آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى ابن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه، وأما الشفاعة (الثانية):

فيشفع في أهل الجنة أنَّ يدخلوا الجنة، وهاتان الشفاعتان خاصتان له، وأما الشفاعة (الثالثة): فيشفع فيمن استحق النار، وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أنَّ لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أنَّ يخرج منها:

اعلم أنَّ الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الذنوب والجرائم، وقيل: هي سؤال الخير للغير، والشفاعة ثابتة لتواتر الأدلة في إثباتها، فمنها ما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: لكل نبي دعوة يدعوها فأريد أنَّ أخبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي، لا يشرك بالله شيئاً)** (متفق عليه).

وفي الصحيح أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(أنا أول شافع وأول مشفع)**، وأنه ذُكر عنده عمه أبو طالب فقال: لعله تنفعه شفاعتي فيجعل في ضحضاح من نار، فيجب الإيمان بالشفاعة يوم القيامة واعتقادها في قيودها.

وهذا مذهب أهل السُّنة والجماعة، وأما المبتدعة من الخوارج والمعتزلة فإنَّهم أنكروا شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته، واحتجوا لمذهبهم الفاسد في نفي الشفاعة من قوله سبحانه: ﴿**مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا**

شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾، وقوله سبحانه: ﴿لاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ﴾، وهذا استدلال باطلٌ، فإنَّ الآيات المذكورة مخصوصة بالكفار ولذا فإنَّ الناس في إثبات الشفاعة وعدمه انقسموا **إلى ثلاثة أقسام:**

قسم غلو في إثباتها وطلبوها من الأصنام والأوثان والأولياء والصالحين بعد موتهم وهؤلاء مشركون قال الله تعالى عنهم: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللهِ﴾.

وقسم غلوا في نفي الشفاعة: وهم الخوارج والمعتزلة، فأنكروا شفاعة النبي ﷺ في أهل الكبائر من أمته.

وقسم أثبتوا الشفاعة في القيامة بقيودها: وهم أهل السُّنة والجماعة فأثبتوا الشفاعة للنبي ﷺ ولغيره من النبيين والصديقين وغيرهم بقيودها حسب ما جاءت بذلك الأدلة وتواترت الأحاديث، فإنه لابدّ أنَّ يأذن الله للشافع أنَّ يشفع ورضاه سبحانه عن المشفوع له، وهو سبحانه لا يرضى إلا عن أهل التوحيد والإخلاص، قال سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ (الأنبياء: ٢٨).

قوله: وله ﷺ ثلاث شفاعات: أي في القيامة وهي مجملة، وعند التفصيل هي ثمان شفاعات.

الشفاعة الأولى: في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أنَّ يتدافعها الأنبياء والمرسلون: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وهذه خاصة به ﷺ، وقد تكاثرت الأحاديث في إثباتها.

قوله: **وأما الشفاعة الثانية: فيشفع في أهل الجنة أنَّ يدخلوا الجنة:** كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه الطويل المتفق عليه، وكذا في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: أنا أول شفيع في الجنة، وهذه الشفاعة كالتي قبلها خاصة له ﷺ.

قوله: **الثالثة: فيشفع فيمن استحق النار أنَّ لا يدخلها:** وهذه الشفاعة في عصاة الموحدين الذين يدخلون النار بذنوبهم أنَّ يخرجوا منها، والأحاديث بها متواترة عن النبي ﷺ وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السُّنة، وبدعوا من أنكرها.

قوله: **ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم:** كما في الصحيح عن أبي سعيد رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحُم الراحمين فيقبض قبضة من النار فَيُخْرَج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط، الحديث ففي هذا الحديث دليل على شفاعة المؤمنين.

وقد ذكر المصنف رحمه الله هذه الأنواع، وزاد بعض أهل العلم غيرها

فأصبحت ثمانية، وهي على النحو التالي:

الأولى: شفاعة النبي ﷺ لأهل الموقف حتى يقضى بينهم.

الثانية: شفاعة النبي ﷺ لأهل الجنة أنَّ يدخلوا الجنة.

الثالثة: شفاعة النبي ﷺ لعصاة الموحدين فيمن استحق النار أنَّ لا يدخلها.

الرابعة: الشفاعة لسائر النبيين والصديقين والشهداء وغيرهم لعصاة الموحدين فيما استحق النار أنَّ لا يدخلها.

الخامسة: شفاعته ﷺ لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفعة درجاتهم.

السادسة: شفاعته ﷺ في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة.

السابعة: شفاعته ﷺ في أقوام أنَّ يدخلوا الجنة من غير حساب ولا عذاب، كما جاء في الصحيحين من حديث عكاشة بن محصن حين دعا له النبي ﷺ أنَّ يجعله من السبعين ألف الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب.

الثامنة: شفاعته ﷺ في عمّه أبي طالب، حتى يخفف عذابه وهذه خاصة بأبي طالب، وهي شفاعة تخفيف لا شفاعة إخراج.

قوله: ويخرج الله من النار أقواما بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته، ويبقى في الجنة فضل عمن دخلها من أهل الدنيا، فينشيء الله لها أقواما، فيدخلهم الجنة:

قوله: ويخرج الله أقواما من النار: كما في قوله سبحانه: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ ولما في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في حديثه الطويل قال: فيقول الله: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط.

قوله: بل بفضله ورحمته: كما قال ﷺ: ليس أحد منكم يدخل الجنة بعمله. هذا الحديث يفيد أنَّ العمل سبب لدخول الجنة، كما قال تعالى: ﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، ويفيد أنَّ دخول الجنة والنجاة من النار بفضله سبحانه ورحمته، لا بمجرد العمل.

قوله: ويبقى في الجنة فضل: أي زيادة في الجنة عمن دخلها من أهلها.

قوله: فينشئ الله: أي يحدث أقواماً فيدخلهم الجنة بفضله ورحمته، كما عند مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: (**يبقى من الجنة ما شاء الله أنَّ يبقى، ثم**

ينشئ الله سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة) وفي هذا دليل لأهل السُّنة أنَّ الثواب ليس متوقفاً على الأعمال، فإنَّ هؤلاء يخلقون حينئذ ويعطون من الجنة ما يعطون بغير عمل، ومثله أمر الأطفال والمجانين الذين لم يعملوا طاعة قط فكلهم في الجنة برحمة الله وفضله، وفي هذا الحديث دليل على عظم سعة الجنة فقد جاء في الصحيح أنَّ للواحد فيها مثل الدنيا وعشرة أمثالها ثم يبقى فيها شيء لخلق ينشئهم الله تعالى، وأما اللفظ الذي في البخاري من حديث أبي هريرة أنَّه ينشأ للنار من يشاء فيلقى فيها، فتقول هل من مزيد، فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظُه، والروايات الصحيحة، ونص القرآن يرده، فإنه سبحانه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله.

قوله: وأصناف: وهو النوع.

قوله: ما تضمنته: أي اشتملت عليه.

قوله: الدار الآخرة من الحساب والثواب والعقاب: الثواب والمثوبة جزاء الطاعة، والعقاب: العقوبة. قال الله تعالى:﴿**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**﴾.

قوله: والجنة والنار: والمراد هنا الدار التي أعدها الله لأوليائه وعباده

الصالحين، وأما النار فأعدها الله سبحانه وتعالى لأعدائه أعاذنا الله منها فيجب الإيمان بهما واعتقاد أنهما حق موجودتان الآن لثبوت ذلك في الكتاب والسُّنة، قال الله تعالى عن الجنة:﴿**أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ**﴾، وقال عن النار:﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾، ولما في الصحيحين من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: إن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار، يقال هذا مقعدك، حتى يبعثك الله يوم القيامة**)، وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبدالله بن عباس قال: (**انخسفت الشمس على عهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكر الحديث، وفيه فقالوا: رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت، فقال: إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً لو أصبته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع**).. (الحديث).

ولما في صحيح مسلم من حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**وايم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً** قالوا: وما رأيت يا رسول الله قال: **أعد الله الجنة لأوليائه وأعد النار لأعدائه**). ولم يزل المسلمون على ذلك حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية، فأنكرت ذلك وزعمت أنَّ الله ينشئهما يوم القيامة، وأن إيجادهما الآن عبث، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أنَّ

يفعل كذا، ولا ينبغي له أنَّ يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم، فهم مشبهة في الأفعال، معطلة في الصفات، والأدلة على بطلان هذا القول كثيره، كما دلت عليه النصوص على دوام الجنة والنار، وأنهما لا تفنيان أبداً ولا تبيدان، قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّها﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾، وقال تعالى في النار: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾، إلى غير ذلك من النصوص الدالة على أنهما موجودتان لا تفنيان.. والله اعلم.

قوله: وتفاصيل ذلك مذكورة في الكتب المنزلة من السماء، والآثار من العلم المأثور عن الأنبياء عليهم السلام:

قوله: وتفاصيل ذلك: أي تبيين ذلك وتوضيحه مذكور في الكتب المنزلة من السماء، فإنَّ يوم القيامة وما اشتمل عليه معروف عند الأنبياء عليهم السلام من آدم إلى نوح إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من حين أهبط آدم، قال تعالى: ﴿اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾، ومؤمن آل فرعون كان يعلم المعاد، وآمن بموسى وحذر قومه مما يقع يوم القيامة، فقال تعالى عنه: ﴿ويَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الآخِرَةَ هِيَ

دَارُ الْقَرَارِ﴾ إلى غير ذلك.

قوله: المأثور: الأثر يطلق على المروي مطلقاً سواء كان عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي، أو من دونه.

قوله: العلم: أي العلم الشرعي النافع الذي ورثه الأنبياء، **وهذا العلم أقسام ثلاثة:**

الأول: علم بالله وأسمائه وصفاته وما يتبع ذلك، وفي مثله أنزل الله سورة الإخلاص وآية الكرسي ونحوهما.

الثاني: العلم بما أخبر الله به مما كان من الأمور الماضية، ومما يكون من المستقبلة، ومما هو كائن من الأمور الحاضرة، وفي مثله أنزل الله القصص والوعد والوعيد وصفة الجنة والنار.

الثالث: العلم بما أمر الله به من الأمور المتعلقة بالقلوب والجوارح من الإيمان بالله ومن معارف القلوب وأحوالها وأحوال الجوارح وأعمالها، وهذا يندرج فيه العلم بأصول الدين وقواعد الإسلام، والعلم بالأقوال والأفعال الظاهرة مما هو مذكور في كتب أهل السُّنة، **قال ابن القيم:**

والعِلمُ أقسامٌ ثلاثٌ ما لَها
مِن رابعٍ والحقُّ ذو تِبيانِ

عِلمٌ بأوصافِ الإلَـهِ وفِعلِه
وَكَذَلِكَ الأسماءُ للرَّحمنِ

والأمرُ والنَّهيُ الذي هُوَ دِينُه
وجزاؤُه يومَ المَعادِ الثَّاني

قوله: وفي العلم الموروث عن محمد ﷺ من ذلك ما يشفي ويكفي، فمن ابتغاه وجده:

قوله: الموروث عن محمد ﷺ: الموروث من الإرث، والمراد به هنا إرث العلم والحكمة، كما قال النبي ﷺ في حديث أبي الدرداء: والعلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر.

قوله: من ذلك ما يشفي ويكفي: أي أنّ الكتاب والسُّنة بهما غاية الشفاء والكفاية، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾، وقال تعالى: ﴿**أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾، وقال تعالى: ﴿**قَدْ جَاءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ**﴾، ففي كتاب الله وسُنَّة رسوله غاية الشفاء من أمور الدنيا والآخرة، ولما رأى مع عمر ورقة من التوراة غضب ﷺ وقال: أمتهوكون يا ابن الخطاب، لو كان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعي.. (رواه أحمد عن جابر).

وقال ﷺ: (تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك) (رواه أحمد وابن ماجه واللفظ له وهو حديث صحيح)، وقال أبو ذر رضي الله عنه: توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا وذكر لنا منه علماً.

قوله: فمن ابتغاه وجده: أي: طلبه، وحصَّله وأدركه، فهو سهل اللفظ، قريب المعنى، واضح الأسلوب، أي ما جاء في كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ**﴾.

قوله: وتؤمن الفرقة الناجية من أهل السُّنة والجماعة بالقدر خيره وشره: (القدر) هو تقدير الله تعالى الأشياء في الأزل وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه، وعلى صفات مخصوصة، وكتابته سبحانه لذلك ومشيئته له، ووقوعها على ما قدّره وخلقه لها.

وهو أحد أصول الإيمان الستة المذكورة في حديث جبريل وغيره، وأجمع عليها أهل السُّنة والجماعة ولم يخالف في ذلك إلا مجوس هذه الأمة القدرية، وقد خرجوا في أواخر عهد الصحابة، وأنكر عليهم الصحابة الموجودون إذ ذاك، وأول من قال ذلك معبد الجهني بالبصرة، كما روى مسلم في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنه أنَّه قال: والذي نفسي بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهبا ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر خيره وشره، ثم استدل بقول النبي ﷺ: الإيمان أنَّ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله

واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. فجعل الإيمان بالقدر سادس أصول الإيمان، فمن لم يؤمن به، لم يؤمن بالله.

وقال طاوس رَحِمَهُ اللَّهُ: أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيء بقدر.

قوله: خيره وشره: فلا كائن إلا بإرادته ومشيئته، فهو الخالق لكل شيء، وما خلقه سبحانه فكله خير ولحكمة، لأنه صادر عن حكمة وعلم، وما كان كذلك فهو خير محض بالنسبة إلى الرب؛ إذ هو موجب أسمائه وصفاته، وجاء في الحديث: والشر ليس إليك. ومعناه أنَّه لا يضاف الشر إليك بوجه من الوجوه، فلا يضاف الشر إلى ذاته ولا إلى أسمائه وصفاته وأفعاله، وإضافته إلى العبد إذا قُدر عليه بسبب جهله وظلمه وذنوبه لا إلى الخالق فإنّ في ذلك من الحكم ما تقصر عنه أفهام الناس.

قوله: والإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين، فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، وعلم جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال:

قوله: والإيمان بالقدر على درجتين: ذكر المصنف مراتب الإيمان بالقدر فبدأ بمرتبة العلم، وصفة العلم من الصفات الذاتية له سبحانه، فإنه

سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

قوله: الأولى الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون: قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِياًّ**﴾، وقال سبحانه: ﴿**وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ**﴾، ولقد ضل غلاة المعتزلة والرافضة الذين أنكروا أنَّ الله عالم بالأزل، وقالوا: إن الله لا يعلم أفعال العباد حتى يفعلوها تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا، قال تعالى: ﴿**أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ**﴾.

قوله: أزلا وأبدا: الأزل القدم الذي لا نهاية له، فالله سبحانه لم يزل ولا يزال معناه دوامه وبقاؤه الذي ليس له مبتدأ ولا منتهى.

قوله: من الطاعات والأرزاق: الطاعة: هي العبادة التي يحبها الله ويرضاها، **والمعصية**: هي مخالفة أمر الله، والأرزاق: هي ما ينفع من حلال وحرام، قال الله تعالى: ﴿**وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللهِ رِزْقُهَا**﴾، وقد ضلت المعتزلة وقالوا: بأن الحرام ليس برزق، فعلى قولهم يكون من أكل الحرام طول عمره لم يرزقه الله، وهذا باطل مخالف للكتاب والسُّنة، فإنَّ الله سبحانه رازق كل الخلق، لكن من أخذه من طريق حلال يثاب عليه، وإن أخذه من طريق محرم يعاقب عليه.

قوله: والآجال: أي أنَّه سبحانه قد علم رزق العبد وأجله قبل خلقه وإيجاده،

قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ**﴾، وروى مسلم في صحيحه عن عبدالله قال: قالت أم حبيبة زوج النبي ﷺ: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، قال فقال النبي ﷺ: لقد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يُعَجَل شيئاً قبل أجله أو يَؤَخَّر شيئاً عن أجله، ولو كنت سألت الله أنَّ يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرا أو أفضل. والميت قد مات بعد استيفاء أجله واستكمال رزقه، سواء مات حتف أنفه أو مات بالقتل، خلافاً للمعتزلة القائلين بأن المقتول قطع عليه أجله، وقولهم باطل ترده أدلة الكتاب والسُّنة.

قوله: **ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق، فأول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: ما أكتب قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة:**

قوله: **ثم كتب الله في اللوح:** هذه هي المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر، وهي مرتبة الكتابة، وهي أنَّ الله كتب مقادير الخلائق وما هو كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: ﴿**مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ**﴾ .. الآية، وفي الصحيح من حديث عبدالله ابن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**قدر الله مقادير الخلق قبل أنَّ يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**) وفيه أنَّ التقدير وقع بعد خلق العرش فدل على أنَّ

العرش مخلوق قبل القلم.

قوله: فما أصاب الإنسان لم يكن يخطئه: هذا هو حقيقة الإيمان بالقدر، وهو أنَّ تعتقد أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وفي حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: واعلم أنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. الحديث.

قوله: جفت الأقلام وطويت الصحف: هذا كناية عن تقدم كتابة المقادير كلها، والفراغ منها من أمد بعيد، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له: جف القلم بما أنت لاق. وفي صحيح مسلم عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رجلاً قال: يا رسول الله: فيم العمل أفيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير أم فيما يستقبل قال: فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير قال: ففيم العمل قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له أي: أنَّ العبد ميسر لما خلق له لا مجبور، فالجبر لفظ بدعي، والتيسير لفظ القرآن والسُّنة.

وقوله: الأقلام: فيه دليل على أنَّ للمقادير أقلاماً غير القلم الأول الذي تقدم ذكره مع اللوح المحفوظ، والذي دلت عليه السُّنة أنَّ الأقلام **أربعة**:

الأول: القلم العام الشامل لجميع المخلوقات، وهو الذي كتب به مقادير كل شيء.

الثاني: حين خلق آدم، وهو قلم عام أيضا لكن لبني آدم، وورد في هذه آيات تدل على أنَّ الله قدر أعمال بني آدم وأرزاقهم وآجالهم وسعادتهم عقيب خلق أبيهم.

الثالث: حين يُرسل الملك إلى الجنين في بطن أمه فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد.

الرابع: الموضوع على العبد عند بلوغه، الذي بأيدي الكرام الكاتبين الذين يكتبون ما يفعله بنو آدم، كما ورد ذلك في الكتاب والسُّنة.

قوله: **كما قال تعالى: ألم تعلم أنَّ الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير. وقال: ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أنَّ نبرأها إن ذلك على الله يسير، وهذا التقدير التابع لعلمه سبحانه يكون في مواضع جملة وتفصيلا فقد كتب في اللوح المحفوظ ما شاء. وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه؛ بعث إليه ملكاً، فيؤمر بأربع كلمات، فيقال له: اكتب: رزقة، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد.** ونحو ذلك:

قوله: **ما أصاب من مصيبة في الأرض:** من قحط وقلة نبات ونقص ثمار.

قوله: **ولا في أنفسكم:** من أمراض وفقد أولاد ونحو ذلك.

قوله: **إلا في كتاب:** وهو اللوح المحفوظ.

قوله: من قبل أنَّ نبرأها: من قبل أنَّ نخلق الأرض والأنفس.

قوله: إن ذلك على الله يسير: أي إن علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها سهل على الله، لأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وكتاب الله ولوحه وقلمه والصحف المذكورة في الأحاديث، كل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمه إلى الله كما قال تعالى: ﴿وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ﴾.

قوله: وهذا التقدير: أي تقدير الله سبحانه وتعالى لمقادير الخلق في علمه وكتابه قبل تكوينها وإيجادها يكون في مواضع جملة وتفصيلاً، فمنها ما هو عام شامل لكل كائن، كما في حديث: لما خلق الله القلم قال له اكتب فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة، ومنها ما هو كالتفصيل من القدر السابق، وبعضها أخص من بعض، فالذي في الحديث المتقدم تقدير شامل، وأخص منه ما في حديث ابن مسعود: يجمع خلق أحدكم. الحديث، وأخص منهما ما ورد أنَّه يقدر في ليلة القدر ما يلقاه في تلك السنة إلى السنة الأخرى.

قوله: فقد كتب الله في اللوح المحفوظ ما شاء: هذا هو التقدير العام قبل خلق السماوات والأرض، كما في حديث ابن مسعود: (**يجمع خلق أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم أربعين يوما علقة مثل ذلك ثم أربعين يوما مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات**

بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أم سعيد) الحديث، فهذا تقدير عمري، وفي قوله تعالى:﴿**تَنَزَّلُ الْمَلاَئِكَةُ وَالرُّوحُ**﴾ الآية، فهذا التقدير تقدير حولي، وفي قوله تعالى:﴿**كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ**﴾ هذا تقدير يومي.

قوله: فهذا التقدير قد كان ينكره غلاة القدرية قديماً، ومنكروه اليوم قليل:

أي: علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها طبق ما يوجد في حينها، قد كان ينكره غلاة القدرية، كمعبد الجهني الذي سأل ابن عمر عن مقالته، وكعمرو بن عبيد وغيره، فينكرون علمه المتقدم، وكتابته السابقة، ويزعمون أنَّه أمر ونهى وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، بل الأمر أُنف أي مستأنف، وهذا القول أول ما حدث في الإسلام بعد الخلفاء الراشدين، ولذا القدرية ينقسمون إلى **فرقتين**:

الأولى: تنكر أنَّ الله سبق علمه بالأشياء قبل وجودها، وتزعم أنَّ الله لم يقدر الأمور أزلاً ولم يتقدم علمه بها، وإنما يعلمها إذا وقعت، والمنكرون لهذا انقرضوا وهم الذين كفرهم الأئمة مالك والشافعي وأحمد، وهم الذين قال فيهم الشافعي ناظروا القدرية بالعلم، فإنَّ أقروا به خصموا، وإن أنكروه كفروا.

الفرقة الثانية: المقرون بالعلم وإنما خالفوا السلف في زعمهم بأن أفعال

العباد مقدورة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال، وهو مع كونه مذهباً باطلاً أخف من المذهب الأول: قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما هؤلاء يعني الفرقة الثانية فإنهم مبتدعون ضالون لكنهم ليسوا بمنزلة أولئك.

قوله: وأما الدرجة الثانية؛ فهي مشيئة الله النافذة، وقدرته الشاملة، وهو: الإيمان بأن ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السماوات وما في الأرض من حركة ولا سكون؛ إلا بمشيئة الله سبحانه، لا يكون في ملكه ما لا يريد:

قوله: وأما الدرجة الثانية: أي من مراتب الإيمان بالقدر، وهو إثبات مشيئة الله النافذة، أي الماضية التي لا رادَّ لها، قال الله تعالى: ﴿**وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا**﴾، وقال تعالى:﴿**وَلَوْ شِئْنَا لآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا**﴾، فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لا خروج له عن علمه، وبهذا الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله من العبد وشاءه، وأما أهل السُّنة والجماعة فإنهم اعتقدوا أنَّ مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله في كل شيء مما يوافق ما شرعه وما لا يوافقه من أفعال العبد وأقواله، فالكل بمشيئة.

قوله: وأنه سبحانه على كل شيء قدير: فيه دليل على شمول قدرته سبحانه وتعالى.

قوله: من الموجودات: كأفعال خلقه من الملائكة والنبيين وسائر حركات العباد فلا يخرج عن خلقه وملكه شيء.

قوله: والمعدومات: كما قال سبحانه: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ أي شيئاً في الخارج، ولا يكون شيء إلا بعلمه سبحانه.

قوله: فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه سبحانه:

قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾، كما أنَّه لا يخرج عن علمه شيء فكذا لا يخرج عن خلقه شيء، وفي هذه الآيات دليل على أنَّه سبحانه خالق أفعال العباد، كما أنَّه خالق ذواتهم وصفاتهم، فالعبد كله مخلوق: صفاته وذاته وأفعاله، ومن أخرج أفعاله عن خلق الله فقد جعل فيه خالقاً مع الله، ولهذا شبه السلف القدرية النفاة بالمجوس، وقالوا هؤلاء: هم مجوس هذه الأمة، كما ورد عن ابن عباس.

قوله: لا خالق غيره ولا رب سواه: فيه الرد على القدرية المجوسية الذين يقولون أنَّ أفعال العباد ليست مقدورة له سبحانه، بل خارجه عن قدرته، وهذا لا شك قول باطل، فيجب الإيمان بالقضاء والقدر، ولا يجوز الاحتجاج به في ترك أوامر الله، وفعل نواهيه، بل يجب أنَّ نؤمن بذلك، ونعلم أنَّ لله الحجة علينا بإنزال الكتب وبعث الرسل.

قوله: ومع ذلك؛ فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسوله، ونهاهم عن معصيته:

هذا رد على من عارض شرعه وأمره بقضائه وقدره، وجعل مشيئته العامة دافعة للأمر كفعل الزنادقة إذا أمروا أو نهوا احتجوا بالقدر، وهذا مذهب باطل محرّم مخالف للإيمان بالقضاء والقدر والحكمة والأمر والنهي والوعد والوعيد، فإنَّ الإيمان بالقدر من تمام طاعة الله سبحانه وطاعة رسوله ﷺ، ومن أثبت القدر وجعل ذلك معارضاً للأمر فقد أذهب الأصل، وضل عن سواء السبيل.

قوله: وهو سبحانه يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد:

قال تعالى: ﴿وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾، مع أنَّ ذلك واقع بمشيئته وقضائه وقدره، والمحبة والكراهة إجتمعا في المشيئة وافترقا في المحبة والكراهة، فالمشيئة والمحبة ليس مدلولهما واحداً، ولا هما متلازمتان، بل قد يشاء الله ما لا يحبه ويحب ما لا يشاء كونه،

فالأول: كمشيئته لوجود إبليس وجنوده، ومشيئته العامة لجميع ما في الكون مع بغضه لبعضه.

الثاني: كمحبته لإيمان الكفار والفجار، ولو شاء ذلك لوجد كله في

جميع خلقه، ولذا فإنَّ الإرادة في كتاب الله نوعان:

الأول: إرادة كونية قدرية.

الثاني: إرادة دينية شرعية.

فالإرادة الشرعية هي المتضمنة للمحبة والرضا، والكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الحوادث.

قوله: والعباد فاعلون حقيقة، والله خلق أفعالهم، والعبد هو: المؤمن، والكافر، والبر، والفاجر، والمصلي، والصائم:

قوله: والعباد فاعلون حقيقة: قال الله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾، أي: خلقكم والذي تعملونه، فدلت على أنَّ أفعال العبد مخلوقة لله، وعلى أنها أفعال لهم حقيقة، وفي قوله: (**والعباد فاعلون حقيقة**) رد على الجبرية الذين يقولون: إن العبد ليس بفاعل أصلا، بل هو مجبور على أفعاله وواقعة على غير اختياره.

قوله: **والله خالق أفعالهم**: رد على القدرية النفاة الذين يقولون: إن الله لم يخلق أفعالهم، وأنها واقعة بمشيئتهم وقدرتهم دون مشيئة الله.

قوله: وللعباد قدرة على أعمالهم، ولهم إرادة، والله خالقهم وقدرتهم وإرادتهم؛ كما قال تعالى: لمن شاء منكم أنَّ يستقيم. وما تشاؤون إلا أنَّ

يشاء الله رب العالمين. وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية الذين سماهم النبي ﷺ: مجوس هذه الأمة:

قوله: وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة: فيه رد على الجبرية.

قوله: والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم: فيه رد على القدرية، فالجبرية غلوا في الإثبات، والقدرية غلوًّا في النفي، وأهل السُّنة والجماعة هم وسط بينهما، فأثبتوا أنَّ العباد فاعلون ولهم قدرة على أعمالهم ولهم إرادة ومشيئة، وأنَّ الله سبحانه وتعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم.

قوله: وهذه الدرجة من القدر يكذب بها عامة القدرية: لأنهم يزعمون أنّ العبد يخلق فعل نفسه استقلالاً عن مشيئة الله وإرادته.

قوله: الذين سماهم النبي ﷺ: مجوس هذه الأمة: هذا الحديث روي مرفوعاً عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنَّه قال: (**القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم**) (رواه أبو داود وغيره وصححه ابن قطان وحسنه الألباني).

قال ابن القيم: هذا المعنى قد روي عن النبي ﷺ من حديث ابن عمر، وحذيفة، وابن عباس، وجابر بن عبدالله، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمرو بن العاص، ورافع بن خديج. (انتهى من تهذيب سنن أبي داود).

قال البيهقي: وإنما سموا قدرية، لأنهم أثبتوا القدر لأنفسهم، ونفوه عن الله سبحانه، ونفوا عنه خلق أفعالهم وأثبتوه لأنفسهم.

قال الخطابي: إنما جعلهم ﷺ مجوساً، لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس، أي: قولهم بالأصلين النور والظلمة، يزعمون الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة.

قوله: ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات، حتى سلبوا العبد قدرته واختياره:

يشير إلى قول المجبرة، فإنهم غلوا في نفي أفعال العباد حتى سلبوا العباد قدرتهم واختيارهم، وزعموا أنَّهم لا يفعلون شيئا ألبتة، وإنما الله هو فاعل هذه الأفعال حقيقة، وأنّ أفعالهم بمنزلة حركة الجمادات لا قدرة له عليها، كما هو قول الجهم بن صفوان الترمذي، وقولهم هذا باطل؛ مردود بنصوص الكتاب والسُّنة، كما قال تعالى:﴿**جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾، **وقال سبحانه**: ﴿**مَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ**﴾، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿ **يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾، **والقدرية هم هؤلاء الفرق الثلاث نفاته**: وهم القدرية المجوسية، والمعارضون به للشريعة، الذين قالوا: لو شاء الله ما أشركنا وهم القدرية المشركة، والمخاصمون به للرب

وهم أعداء الله وخصومه وهم القدرية الإبليسيه، كما ذكر الله عن إبليس، وهو أول من احتج على الله بالقدر، نعوذ بالله منه، فقال: (**بما أغويتني**) ولم يعترف بالذنب ويبوء به، كما اعترف به آدم، والذي عليه أهل السُّنة والجماعة أنَّ أفعال العباد مخلوقة لله، صادرة عن مشيئته وارادته وهي أفعال لهم وكسب لهم باختيارهم، فلذا ترتب عليها الثواب والعقاب.

قوله: ويخرجون عن أفعال الله واحكامه حكمها ومصالحها: أي أنَّ الجهمية يزعمون أنَّ الله تعالى لا يفعل لعلة ولا لحكمة، وإنما هو محض مشيئة وصرف إرادة مجردة عن الحكمة والرحمة، والذي عليه أهل السُّنة والجماعة هو إثبات العلة والحكمة في أفعاله سبحانه وشرعه وقدره، وإن تقاصرت عنها عقول البشر، كما قال تعالى:﴿**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا**﴾، **وقال سبحانه:**﴿**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ**﴾.

قوله: فصل: ومن أصول أهل السُّنة والجماعة أنَّ الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح، وأنَّ الإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية:

قوله: أنَّ الدين: معناه لغةً: الذل، يقال دنته فدان، أي أذللته فذل، **وشرعاً**: هو ما أمر الله به على ألسنة رسله، كما في حديث جبريل: أنَّ النبي

ﷺ سمى الإسلام والإيمان والإحسان ديناً.

قوله: قول القلب، وهو الاعتقاد، أي: اعتقاد ما أخبر الله به عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته وكتبه ورسله.

قوله: قول اللسان: وهو التكلم بالشهادتين، والقيام بذكره سبحانه وتبليغ أوامره والدعوة إليه والذب عن دينه ونحو ذلك.

قوله: وعمل القلب: وهو النية والإخلاص، والتوكل والإنابة والمحبة والانقياد والخوف منه سبحانه والرجاء والصبر ونحو ذلك من أعمال القلوب.

قوله: وعمل اللسان والجوارح: كالصلاة والحج والجهاد ونحو ذلك، فالإيمان عند أهل السُّنة والجماعة هو قول واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

قوله: وأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية: كما قال سبحانه: **﴿لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾**، وقال تعالى: **﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَانًا وتسليماً﴾**، فالإيمان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية ونقصه كما جاء في الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: **(لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)**. كما أنَّ المؤمنين يتفاضلون في الإيمان، فبعضهم أكمل إيماناً من بعض، كما قال سبحانه وتعالى: **﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ﴾**.

قوله: وهم مع ذلك لا يكفرون أهل القبلة بمطلق المعاصي والكبائر؛ كما يفعله الخوارج بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي؛ كما قال سبحانه في آية القصاص: فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف. وقال: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإنَّ بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإنَّ فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم.

قوله: وهم مع ذلك لا يُكَفِرُون أهل القبلة: أي أنَّ أهل السُّنة والجماعة لا يُكَفِرُون المسلم إذا ارتكب شيئاً من الكبائر خلافاً لما يقوله الخوارج والمعتزلة، فإنَّ الخوارج يقولون: من فعل كبيرة فهو في الدنيا كافر وفي الآخرة مخلد في النار لا يخرج منها لا بشفاعة ولا بغير شفاعة، والمعتزلة يقولون: من فعل كبيرة فهو في الدنيا لا مؤمن ولا كافر، بل في منزلة بين المنزلتين، وفي الآخرة خالد مخلد في النار، كقول الخوارج، وقابلتهم المرجئة فقالوا: إنه لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهذا القول باطل ومخالف لقول أهل السُّنة والجماعة فإنَّ الفاسق عندهم لا يخرج من الإيمان بمجرد فسقه، ولا يخلد في النار في الآخرة، بل هو تحت مشيئة الله تعالى.

قوله: بل الأخوة الإيمانية ثابتة مع المعاصي: وهذا ما يعتقده أهل السُنَّه كما قال تعالى في آية القصاص: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ

بِالمَعْرُوفِ﴾، فسماه أخاً مع وجود القتل منه، وفيه دليل على أنَّ العاصي لا يخرج من الإيمان بمجرد المعصية.

قوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا: فسماهم مؤمنين مع الاقتتال، وبهذا استدل البخاري وغيره على أنَّه لا يخرج من الإيمان بالمعصية، لا كما يقول الخوارج والمعتزلة ومن تابعهم.

وفي الحديث الذي رواه البخاري عن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**إن ابني هذا سيِّد ولعل الله أنَّ يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**). فكان كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلح الله به بين أهل الشام والعراق بعد الحروب الطويلة.

قوله: فإنَّ بغت إحداهما على الأخرى: أي تعدَّت إحداهما على الأخرى وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله.

قوله: فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله أي: ترجع إلى أمر الله ورسوله.

قوله: فإنَّ فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين: فيه إثبات المحبة لله كما يليق بجلاله وعظمته، وفيه مدح العدل والإنصاف، وأنهم لم يخرجوا بالبغي من الإيمان.

قوله: إنما المؤمنون إخوة: أي إخوة في الدين، فسماهم مؤمنين مع وجود الاقتتال بينهم، فدل على أَنَّهم لا يخرجون من الإيمان بالمعصية.

قوله: ولا يسلبون الفاسق الملي الإسلام بالكلية، ولا يخلدونه في النار؛ كما تقول المعتزلة:

قوله: الفاسق: الفسق لغة الخروج، ولهذا يقال فسقت الرطبة يعني خرجت من قشرها، وشرعا: الفاسق من فعل كبيرة، وينقسم الفسق إلى قسمين:

الأول: فسق اعتقاد كالجهمية والمعتزلة ونحوهما.

الثاني: فسق عمل كالزنا والسرقة وشرب الخمر ونحو ذلك.

قوله: المِلِّي: أي الذي على ملة الإسلام ولم يرتكب من الذنوب ما يوجب كفره، وأول خلاف حدث في الفاسق الملي هل هو كافر أو مؤمن؟ **فقالت الخوارج**: إنه كافر، **وقال أهل السُّنة والجماعة**: إنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، **وقالت المعتزلة**: هو لا مؤمن ولا كافر، منزلة بين المنزلتين وخلدوه في النار، واعتزلوا حلقة الحسن البصري فسموا معتزلة.

والفسوق يكون من جهة العمل، ومن جهة الاعتقاد وتوبة الفاسق بالاعتقاد تكون باتباع السُّنة، واعتقادها، وترك البدعة وإبطالها، وهؤلاء كالخوارج المارقة وكثير من الروافض والقدرية والمعتزلة، وكثير من الجهمية

الذين ليسوا غلاة في التجهم، وأما غلاة الجهمية والرافضة فقد أخرجهم جماعة من السلف من الثنتين والسبعين فرقة، وقالوا: هم مباينون للملة.

وقد ظهر من الرافضة في زماننا صريح الشرك، حيث أنَّهم يستغيثون بعلي والحسين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وغيرهما، ويدعونهم مع الله تعالى وهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

قوله: بل الفاسق يدخل في اسم الإيمان المطلق؛ كما في قوله: فتحرير رقبة مؤمنة. وقد لا يدخل في اسم الإيمان المطلق كما في قوله تعالى: (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً): أي الفاسق لا يسلب عنه اسم الإيمان على الإطلاق ولا يثبت له على الإطلاق، بل يقال مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.

قوله: وقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن. ونقول: هو مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فلا يعطى الاسم المطلق، ولا يسلب مطلق الاسم:**

قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا يزنى الزاني حين يزني وهو مؤمن: فيه دليل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان، والمراد بنفي الإيمان نفي بلوغ حقيقته ونهايته،

وفي هذا الحديث الرد على المرجئة والجهمية ومن اتبعهم الذين يقولون إن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، ويزعمون أنَّ الإيمان لا يتفاضل، وهو إما أنَّ يزول بالكلية أو يبقى كاملاً، وقولهم ظاهر البطلان.

قوله: ونقول هو مؤمن ناقص الإيمان: لأنه الله سبحانه وتعالى أطلق عليه الإيمان، كما في قوله تعالى:﴿**فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ**﴾ الآية، وقوله تعالى:﴿**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا**﴾ الآية، خلافاً للمرجئة والجهمية ومن إتبعهم، فإنَّ الإيمان عندهم لا يقبل الزيادة والنقصان، بل هو شيء واحد يستوي فيه جميع المؤمنين من الملائكة والمقتصدين والمقربين والظالمين، وهذا قول مردود مخالف للكتاب والسُّنة.

قوله: فلا يعطى الاسم المطلق: أي لا يعطى الفاسق اسم الإيمان المطلق، أي الكامل، فلا يطلق على الفاسق: الإيمان إلا مقيداً، فيقال: مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو يقال: مؤمن ناقص الإيمان.

قوله: ولا يسلب مطلق الاسم: فيقال له مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ويقال: مؤمن ناقص الإيمان، خلافاً للخوارج والمعتزلة، أما ما جاء في بعض الأحاديث من نفي الإيمان عن بعض العصاة فالمراد به نفي الإيمان المطلق لا مطلق الإيمان.

فلهذا نفي الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق، ولم ينف

عنه مطلق الإيمان، فالإيمان المطلق يمنع دخول النار، ومطلق الإيمان يمنع الخلود فيها.

قوله: **فصل: ومن أصول أهل السُّنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ:**

قوله: **ومن أصول: جمع أصل وهو لغة:** ما يبنى عليه غيره، فيطلق الأصل على أربعة أشياء:

الأول: على الدليل غالباً، كقولهم: أصل هذه المسألة الكتاب والسُّنة، أي دليله.

الثاني: على الراجح من الأمرين كقولهم: الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز.

الثالث: القاعدة المستمرة كقولهم: أكل الميتة على خلاف الأصل.

الرابع: المقيس عليه، وهو ما يقابل الفرع في باب القياس.

قوله: **سلامة قلوبهم:** أي من الغل والحقد والبغض والعداوة لأصحاب رسول الله ﷺ وسلامة ألسنتهم من الطعن فيهم، واللعن، والوقيعة فيهم، كما يجب اعتقاد فضلهم رضوان الله عليهم، ومعرفة سابقتهم وذكر محاسنهم والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكف عما شجر بينهم، قال

الله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ**﴾.

قوله: لأصحاب رسول الله ﷺ: جمع صاحب والصحابي هو من إجتمع بالنبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، **وقال البخاري**: من صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه، وكلهم عدول ثقات لا يفتش عن عدالة أحد منهم، وقال ابن تيمية: الذي عليه جمهور سلف الأمة وجمهور الخلف أنَّ الصحابة كلهم عدول بتعديل الله لهم فيما أنزله على رسوله بقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾.

قوله: كما وصفهم الله به في قوله تعالى: والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًّا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم:

أي كما وصف الله أتباعهم بإحسان بقوله: ﴿**والذين جاءوا من بعدهم**﴾ وهم التابعون الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة.

قوله: يقولون ربنا اغفر لنا: أي يسألون الله المغفرة لهم ولإخوانهم في الدين الذين سبقوهم بالإيمان، وهم أصحاب رسول الله ﷺ.

قوله: ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا: أي ولا تجعل في قلوبنا بغضاً وحسداً وغشا للذين آمنوا، وهذا بخلاف أهل البدع من الرافضة والخوارج والمعتزلة وغيرهم، فإنَّ قلوبهم ممتلئة غلّاً وغشّاً، وقال مالك رحمه الله: من أصبح وفي قلبه بغض لأحد من الصحابة فقد أصابته هذه الآية، يعني قوله: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ الآية، ولا شك أنَّ الرافضة في زماننا ليسوا من فرق الأمة المحمدية، وذلك باستقراء ما هم عليه الآن من الغلو في أهل البيت، والبناء على قبورهم، والإستغاثة بالأموات ودعائهم، وإظهار اللعن والسب لأصحاب رسول الله ﷺ وسفاهات أخرى وفضائح منكرة، فهم مشركون شركاً أكبر لعبادتهم لغير الله تعالى.

قوله: وطاعة النبي ﷺ في قوله: لا تسبوا أصحابي فو الذي نفسي بيده لو أنَّ أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه: حديث لا تسبوا أصحابي رواه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان بين خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: **(لا تسبوا أصحابي فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)** انفرد مسلم بذكر سب خالد لعبد الرحمن دون البخاري، فقوله: **(لا تسبوا أصحابي)** يعني عبد الرحمن بن عوف وأمثاله من السابقين الأولين، فهم أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان كخالد بن الوليد، فإذا كان هذا حال

الذين أسلموا بعد الحديبية فكيف حال من ليس من الصحابة بحال.

قوله: أُحد: هو جبل معروف في المدينة سمي بذلك لتوحده من الجبال، وفيه قال ﷺ هذا أحد جبل يحبنا ونحبه.. (متفق عليه).

قوله: مدًّ: المد مكيال معروف، والنصيف يعني: نصف المدِّ، والمعنى أنَّ غير الصحابة لو أنفق في سبيل الله مثل جبل أحد ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه في الثواب، وفي دليل على تحريم سب أصحاب رسول الله ﷺ، روى الترمذي عن عبدالله بن مغفل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله يوشك أنَّ يأخذه)** (قال الترمذي: حديث غريب).

قوله: ويقبلون ما جاء به الكتاب والسُّنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم ويفضلون من أنفق من قبل الفتح وهو صلح الحديبية وقاتل على من أنفق من بعد وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر وكانوا ثلاث مئة وبضعة عشر: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم:

قوله: ويقبلون ما جاء به الكتاب: أي أهل السُّنة يقبلون ما جاء به كتاب الله وسُنَّة الرسول ﷺ، كما قال سبحانه: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ**﴾ الآية، وقال تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ**

عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى﴾، وفي الصحيحين من حديث عمران وغيره أنَّ النبي ﷺ قال: **(خير القرون قرني)** الحديث.

وروى ابن بطة بإسناد صحيح عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنَّه قال: لا تسبوا أصحاب محمد فلمقام أحدهم ساعة يعني مع النبي ﷺ خير من عمل أحدكم أربعين سنة. وفي رواية وكيع: خير من عبادة أحدكم عمره. ولا شك أنَّهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم قد حازوا قصبات السبق، وبلغوا في الفضل من جميع خصال الخير ما لم يبلغه أحد، وفتحوا الأوطان، وجاهدوا في الله حق جهاده، فالسعيد من أحبهم واتبعهم واقتفى أثرهم.

قوله: من فضائلهم: أي أهل السُّنة يقبلون ما جاء من فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وأرضاهم، **والفضيلة**: هي الخصلة الجميلة التي يحصل لصاحبها بسببها شرف وعلو منزلة.

قوله: ومراتبهم: هي المنزلة والمكان، وفيه جواز المفاضلة بين الصحابة، ولذا قال أهل السُّنة أفضل الصحابة أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، ثم أهل بدر، ثم أهل بيعة الرضوان، ثم أهل أحد، ثم بقية الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين.

قوله: من أنفق من قبل الفتح: وهؤلاء هم السابقون من المهاجرين والأنصار، وذلك أنَّ الإنفاق قبل الفتح في حال شدة وضعف، فلم يكن يُؤمِن حينئذ إلا الصديقون، أما بعد الفتح فإنه ظهر الإسلام ظهوراً عظيماً ودخل الناس في دين الله أفواجاً، والمراد هنا بالفتح هو: صلح الحديبية، ولذا قال المصنف: وهو صلح الحديبية، وكانت بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست من الهجرة، وبذلك الصلح حصل من الفتح والخير ما لا يعلمه إلا الله، مع أنَّه كرهه بعض من المسلمين، ولم يعلموا ما فيه من حسن العاقبة، وكان عدد الصحابة الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة أكثر من ألف وأربعمائة، وهم الذين فتحوا خيبر، وسورة الفتح أنزلها الله قبل فتح مكة إلا أنَّ ابن كثير رحمه الله قال: والجمهور على أنَّ المراد بالفتح هنا: فتح مكة.

قوله: الحديبية: بئر قرب مكة.

قوله: ويقدمون المهاجرين على الأنصار: وذلك لما فضلهم الله به من المنزلة والشرف، كما قال سبحانه: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ**﴾.

قوله: والمهاجرين: وهم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة، **والهجرة:** الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

قوله: الأنصار: أي أنصار رسول الله ﷺ، والمراد بهم الأوس والخزرج، وخصوا بهذه المنقبة العظمى دون غيرهم من القبائل، لما فازوا به من إيواء النبي ﷺ ومن معه، والقيام بأمرهم ومواساتهم بأنفسهم وأموالهم، والأحاديث في فضل الأنصار كثيرة، منها قوله ﷺ: آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار.. (متفق عليه).

قوله: ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر: كما في حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة كتاب حاطب بن أبي بلتعة لقريش يخبرهم بخروج النبي ﷺ، فقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: (**إنه شَهِدَ بدراً وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم..**) (متفق عليه).

قوله: لعل الله اطلع على أهل بدر: لعل للترجي وهو في كلام الله وكلام رسوله للوقوع، وقد جاء عند أحمد وأبي داود وغيرهم في حديث أبي هريرة بالجزم، ولفظه: إن الله اطلع على أهل بدر. الحديث، وفي هذا دليل على فضيلة أهل بدر، وبشارة عظيمة لهم في الآخرة.

قوله: وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر: أي عدة أهل بدر، كما روى البخاري عن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كنَّا أصحاب رسول الله ﷺ نتحدث أنَّ عدة أصحاب بدر على عدة أصحاب طالوت الذين عبروا معه النهر، ولم يجاوزه معه إلا مؤمن وهم بضعة عشر وثلاثمائة، وبدر قرية

على أربع مراحل من المدينة، وسميت الوقعة باسم موضعها الذي وقعت فيه، ووقعة بدر من أشهر الوقائع التي أعز الله بها الإسلام، وكانت غزوة بدر في يوم الجمعة في سبعة عشر خلت من رمضان في السُّنة الثانية من الهجرة، واستشهد من المؤمنين أربعة عشر نفساً من المهاجرين، وثمانية من الأنصار، وقتل بها سبعون من الكفار.

وقوله: وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة؛ كما أخبر به النبي ﷺ، بل لقد رضي الله عنهم ورضوا عنه، وكانوا أكثر من ألف وأربع مئة، ويشهدون بالجنة لمن شهد له رسول الله ﷺ؛ كالعشرة، وثابت بن قيس بن شماس، وغيرهم من الصحابة:

لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ الآية، وفي صحيح مسلم من حديث جابر رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: **(لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)**. وفي الصحيحين وغيرهما من حديث جابر رضي الله عنه قال: كنَّا في الحديبية ألفاً وأربعمائة، فقال لنا رسول الله ﷺ: **(أنتم خير أهل الأرض)**.

ففي هذه الرواية أنَّ عدد من بايع تحت الشجرة ألف وأربعمائة، وفي رواية من حديث جابر أنَّهم ألف وخمسمائة، وفي حديث البراء أنَّهم ألف وأربعمائة أو أكثر، وكان سبب هذه البيعة أنَّه ﷺ قصد مكة ليعتمر

فصده المشركون، وكان قد بعث عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلى مكة فشاع أنَّ عثمان قتل، فطلب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ البيعة فبايعوه تحت الشجرة، ثم صالح المشركين صلح الحديبية المعروف، وذلك في سنة ست من الهجرة في ذي القعدة، ثم رجع بهم إلى المدينة وغزا بهم خيبر ففتحها الله عليهم في أول سنة سبع وقسمها بينهم.

قوله: تحت الشجرة: وهي شجرة خضراء من سدر، كانت البيعة تحتها، ولما كان في خلافة عمر، رأى أُناساً يذهبون إليها فيصلون تحتها، فقطعها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مخافة الفتنة بها، وأما الحديبية فهي قريبة من مكة أكثرها في الحرم، والحديبية بئر كانت هناك وسُمِّي المكان بها.

قوله: ونشهد بالجنة لمن شهد له رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أي ويشهد أهل السُّنة والجماعة بالجنة لمن شهد له الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالعشرة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وأبو عبيدة بن الجراح، وطلحة كما روى الترمذي في جامعه عن عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(أبوبكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة)** (ورواه أحمد في مسنده)، وتبشير النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ العشرة بالجنة لا ينافي مجيء تبشير

غيرهم في أخبار أُخرى؛ لأن العدد لا ينفي الزائد.

قوله: وثابت بن قيس: أي شهد له رسول الله ﷺ بالجنة كما رواه البخاري في صحيحه عن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل يا رسول الله أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده في بيته منكساً رأسه، فقال له: ما شأنك؟ قال: شرٌّ، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله فهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنَّه قال كذا وكذا، قال فرجع إليه المرة الأخيرة فأخبره ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له إنك لست من أهل النار ولكنك من أهل الجنة.

قوله: وغيرهم من الصحابة: كعبدالله بن سلام والحسن والحسين، فقد شهد النبي ﷺ بالجنة للمذكورين، كما روى البخاري في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص، قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي إنَّه من أهل الجنة إلا لعبدالله بن سلام، وفي حديث أبي سعيد الخدري أنَّ النبي ﷺ قال: **(الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنة)** (رواه أحمد والترمذي)، وفي حديث عكاشة بن محصن: لما ذكر السبعين ألفا الذين يدخلون الجنة من غير حساب ولا عذاب، فقال: ادع الله أنَّ يجعلني منهم، فقال: **(أنت منهم)** والحديث في الصحيح، ولا يُشْهد لغير من شهد له النبي ﷺ بجنة ولا نار؛ لأنه لا يعلم ماذا يُختم له به ولكن نرجو للمحسن ونخاف على المسيء.

قوله: ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره من أنَّ خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ويثلثون بعثمان، ويربعون بعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ كما دلت عليه الآثار، وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة:

قوله: ويقرون بما تواتر به النقل: أي أنَّ أهل السُّنة والجماعة يقرون بما جاءت به الأحاديث؛ فمنها ما روى الإمام أحمد والبخاري عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر. قال الحافظ الذهبي: هذا متواتر.

وقد روي عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه قال على منبر الكوفة: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر، وروى الترمذي عنه أنَّه سمع ذلك من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا ريب أنَّ عليّاً لا يقطع بذلك إلا عن علم، وروى عنه أنَّه قال: لا أُوتى بمن يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته جلد المفتري.

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان أبو بكر أعلمنا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وروى الترمذي عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر وعمر: (**هذان سيِّدا كهول أهل الجنة من الأولين والآخرين إلا الأنبياء والمرسلين**).

قوله: ويثلثون بعثمان ويربعون بعلي: أي يكملون بعثمان ثلاثة

ويكملون بعلي أربعة، فالخلفاء الأربعة على هذا الترتيب في الفضل والخلافة، كما في حديث العرباض ابن سارية رضي الله عنه مرفوعاً: (**عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور**).. الحديث.

قوله: وكما أجمع الصحابة على تقديم عثمان في البيعة: فإنَّ الصحابة رضوان الله عليهم اختاروه وأجمعوا على بيعته، فإنه رضي الله عنه بعد عمر رضي الله عنه بالفضل، واسمه عثمان ابن عفان بن الحارث بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف، ولد في السنة السادسة من الفيل، وأسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، وتزوج بنتي النبي صلى الله عليه وسلم فسمي ذا النورين، وجمع رضي الله عنه القرآن، وجهز جيش العسرة، ولي الخلافة بعد عمر رضي الله عنه باتفاق من الصحابة رضي الله عنهم، واستشهد في داره سنة خمس وثلاثين وله بضع وثمانون سنة، ثم بعد عثمان رضي الله عنه في الفضل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة، بايعه الناس بعد قتل عثمان رضي الله عنهما، واتفق السلف على فضله وخلافته بعد عثمان، قال الإمام أحمد رحمه الله: علي رابعهم في الخلافة والتفضيل، وهو أول خليفة من بني هاشم، حتى قال أحمد بن حنبل: ما جاء لأحد من الفضائل ما جاء لعلي رضي الله عنه، مات ليلة الأحد لتسع عشرة مضت من رمضان سنة أربعين، وعمره ثلاث وستون سنة، وخلافته خمس سنين إلا نحو أربعة أشهر رضي الله عنه.

قوله: مع أنَّ بعض أهل السُّنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر وعمر أيهما أفضل؟ فقدم قوم عثمان؛ وسكتوا، وربعوا بعلي، وقدم قوم عليًا، وقوم توقفوا، لكن استقر أمر أهل السُّنة على تقديم عثمان، ثم علي؛

قوله: مع أنَّ بعض أهل السُّنة؛ أي أهل السُّنة كانوا قد اختلفوا في عثمان وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أيهما أفضل: **قال في المنهاج**: وسائر أئمة أهل السُّنة على تقديم عثمان، وهو مذهب جماهير أهل الحديث، وعليه يدل النص والإجماع والاعتبار.

وفي الصحيح عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كنا نقول ورسول الله حي: **أفضل أمة النبي ﷺ بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي**، وفي لفظ: **يبلغ ذلك النبي ﷺ ولا ينكره.**

قوله: بعد اتفاقهم؛ أي أنَّ أهل السُّنة متفقون على تقديم أبي بكر وعمر على عثمان، وذلك لما لأبي بكر وعمر من الفضائل التي لم يشاركهما فيها أحد من الصحابة.

قوله: وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان وعلي ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السُّنة، لكن التي يضلل فيها، مسألة الخلافة، وذلك أنَّهم يؤمنون أنَّ الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، وعمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء؛ فهو أضل من حمار أهله؛

قوله: وإن كانت هذه المسألة مسألة عثمان: مسألة التفضيل بينهما قد حصل فيها خلاف، فقد قال بعض أهل السُّنة بتقديم علي في الفضل لا بالخلافة، والبعض توقف، وأما من حكى الإجماع على تفضيل عثمان فقد غلط، فالخلاف موجود، فلذا لا يضلل المخالف.

قوله: التي يضلل فيها: أي ينسب إلى الضلال هي مسألة الخلافة، لأن أحق الصحابة بالخلافة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، وذلك لفضله وعهد أبي بكر إليه، واتفاق الأمة بعده عليه، ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له واتفاق الأمة عليه، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه، وهو رابع الخلفاء في الخلافة والتفضيل فهؤلاء هم الخلفاء الأربعة المشار إليهم في حديث العرباض بن سارية مرفوعاً: (**عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**) الحديث رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد.

قوله: ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء فهو أضل من حمار أهله: لمخالفته النصوص الصريحة الصحيحة وهو في ذلك ضال زائغ، قال الإمام أحمد: من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله، واحتج بحديث سفينة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة، ثم تكون مُلكاً**)، وآخر الثلاثين خلافة علي رضي الله عنه مع أيام ابنه الحسن، وكانت ستة أشهر وشيئا، وحديث سفينة رواه أصحاب السنن وصححه ابن حبان

وغيره، فترتيب الخلفاء في التفضيل والخلافة كما ذكره المصنف خلافاً للرافضة من الشيعة وغيرهم الذين يزعمون أنَّ رسول الله ﷺ قد نص على خلافة علي، وهذا من أعظم الكذب، وقد سئل عليّ رضي الله عنه عن ذلك فأنكره، قال النووي: وأما ما تدعيه الشيعة من النص على عليّ والوصية إليه فباطل لا أصل له باتفاق المسلمين، وأول من كذبهم عليّ رضي الله عنه، ثم ذكر ما روى البخاري عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي رضي الله عنه: هل عندكم من الوحي شيء غير القرآن؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير، وأن لا يقتل مسلم بكافر.

قوله: ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ، ويتولونهم، ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ: حيث قال يوم غدير خم: أذكركم الله في أهل بيتي: أي أنَّ أهل السُّنة والجماعة يحبون أهل بيت الرسول ﷺ ويتولونهم ويحترمونهم ويكرمونهم لقرابتهم من رسول الله ﷺ، فاحترامهم ومحبتهم والبُّر بهم من توقيره واحترامه ﷺ، لما جاء به الكتاب والسُّنة من الحث على ذلك، قال تعالى: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾، قال ابن كثير رحمه الله بعد كلام له: ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة وأشرف بيت وجد على وجه الأرض فخراً وحسباً ونسباً، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة

النبوية الصحيحة الواضحة الجلية، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي رضي الله عنه وأهل بيته وذويه، وأهل البيت هم آل النبي صلى الله عليه وسلم الذين حرمت عليهم الصدقة، كما فسر ذلك راوي الحديث، وهم آل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل العباس، وبنو الحارث بن عبد المطلب، كما جاء تفسيره في صحيح مسلم، وكذلك أزواج النبي صلى الله عليه وسلم من أهل بيته كما دل عليه سياق آية الأحزاب، وكما قرر ذلك الشيخ تقي الدين وابن القيم وغيرهما.

وأفضل أهل بيته علي وفاطمة والحسن والحسين الذين أدار عليهم الكساء وخصهم بالدعاء.

قوله: ويحفظون فيهم وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي أنَّ الرسول أوصى باحترامهم والإحسان إليهم وإكرامهم، كما في الحديث الذي ذكره المصنف.

قوله: حيث قال يوم غدير خم: قوله (خم) بضم الخاء وتشديد الميم هو اسم لغيضة على ثلاثة أميال من الجحفة، والغيضة الشجر الملتف، والوصية هي ما جاء في هذا الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن زيد بن أرقم، قال: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكَّر، ثم قال: أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أنَّ يأتيني رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين أوَّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله

عَزَّوَجَلَّ ورغب فيه ثم قال: (**وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي**)، فقال حصين: ومن أهل بيته يا زيد أليس نساؤه من أهل بيته قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال من هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

قوله: أذكركم الله في أهل بيتي: أي ما أمر به من احترامهم، وإكرامهم، والقيام بحقهم.

قوله: وقال أيضاً للعباس عمه وقد اشتكى إليه أنَّ بعض قريش يجفو بني هاشم فقال: (والذي نفسي بيده؛ لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي):

قوله: وقال أيضاً للعباس: هذا الحديث رواه الإمام أحمد وغيره عن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت يا رسول الله إن قريشاً إذا لقي بعضهم بعضاً لقوهم ببشرٍ حسنٍ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها، فغضب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غضباً شديداً وقال: (**والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الإيمان حتى يحبكم لله ولرسوله**). رواه أحمد، وفي لفظ ثم قال: (**يا أيها الناس من آذى عمي فقد آذاني، فإنما عم الرجل صنو أبيه**). (رواه الترمذي وقال حسن صحيح).

قوله: العباس: هو ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عمُّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ووالد الخلفاء العباسيين، وكان أسنَّ من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بسنتين أو ثلاث وكان إسلامه على المشهور قبل فتح مكة، وكنيته أبو الفضل، ومات في خلافة عثمان سنة اثنتين وثلاثين، وله بضع وثمانون سنة، وصلى عليه عثمان، ودفن بالبقيع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قوله: وقد اشتكى إليه: الشكوى أنَّ تخبر عن مكروه أصابك، قوله: يجفوا، الجفاء: ترك البر والصلة.

قوله: والذي نفسي بيده: فيه دليل على عظيم حقهم، ووجوب احترامهم، والتحذير من بغضهم، والترغيب في حبهم.

قوله: ولقرابتي: قرابة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ينسب إلى جده الأقرب، وهو عبد المطلب ممن صحب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو رآه من ذكر أو أنثى، وفي الصحيح أنَّ الصديق قال لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: والله لقرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحب إلي أنَّ أصل من قرابتي، وقال عمر بن الخطاب للعباس: والله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم؛ لأن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من إسلام الخطاب.

قوله: وقال: إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريشاً، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم: هذا الحديث رواه أحمد ومسلم عن واثلة بن الأسقع بلفظ: إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة،

واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم. ورواه أيضا الترمذي بلفظ (**إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بني كنانة**) الحديث، قال الترمذي: حسن صحيح.

قوله: اصطفى: أي اختار، والصفوة الخيار، وفي هذا الحديث دليل على شرف نسبه ﷺ، ودليل على فضله ﷺ، وأنه أفضل الخلق، كما روى مسلم في صحيحه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**).

قوله: ويتولون أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة: أي أنَّ أهل السُّنة والجماعة يتولون جميع أزواج رسول الله الطاهرات المبرءات من كل سوء، ويترضون عنهن، ويعظمون قدرهن، ويعرفون فضلهن، ويتبرءون ممن آذاهن أو سبهنَّ.

قوله: **أمهات المؤمنين**: أي في الاحترام والتعظيم، وتحريم نكاحهن على التأبيد، لا في النظر والخلوة بهنّ، لقوله عَزَّوَجَلَّ: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ**﴾، أي في الاحترام والتعظيم، فيجب احترامهنّ ومحبتهنّ، ويحرم الطعن فيهنّ وقذفهنّ لا سيما عائشة أم المؤمنين، فمن قذفها بما برأها الله منه فهو كافر، وغيرها من نساء النبي ﷺ كعائشة، قال ابن كثير: والأصح أنهّن كعائشة رضي الله عنهنَّ أجمعين.

قوله: ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة: لما في صحيح البخاري وغيره: لما بعث علي عمارا والحسن إلى الكوفة ليستنفرهم خطب عمار فقال: إني لأعلم أنها زوجته أي عائشة في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم لتتبعوه أو إياها، وفي حديث سودة لما أراد النبي ﷺ فراقها أنها قالت: يا رسول الله، والله ما لي بالرجال من حاجة، ولكن أحبُّ أنْ أُبعث مع نسائك يوم القيامة، الحديث.

وأول زوجاته ﷺ خديجة بنت خويلد بن أسد تزوجها بمكة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وبقيت معه إلى أنَّ أكرمه الله برسالته، فآمنت به ونصرته، وماتت قبل الهجرة بثلاث سنين، فلما توفاها الله تزوج بعدها سودة بنت زمعة، وكبرت عنده وأراد طلاقها فوهبت يومها لعائشة، وهذه من خصائصها، وتوفيت أم المؤمنين سودة رضي الله عنها في آخر زمان عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، ويُقال ماتت رضي الله عنها سنة أربع وخمسين من الهجرة، وتزوج الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها وهي بنت ست قبل الهجرة بسنتين، وبنى بها الرسول أول مقدمه في السنة الأولى وهي بنت تسع، ومات عنها وهي بنت ثمانية عشر سنة توفيت بالمدينة ودفنت بالبقيع، وأوصت أنَّ يصلي عليها أبو هريرة سنة ثمانية وخمسين، وتزوج رسول الله حفصة بنت عمر بن الخطاب توفيت سنة إحدى وأربعين من الهجرة، وتزوج رسول الله ﷺ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، واسمها رملة

تزوجها رسول الله ﷺ وهي بأرض الحبشة وأصدقها عنه النجاشي أربعمائة دينار، وولي نكاحها عثمان بن عفان توفيت سنة أربع وأربعين من الهجرة ودفنت بالبقيع، وتزوج رسول الله ﷺ أمَّ سلمة واسمها هند بنت أبي أمية توفيت قبل سنة اثنين وستين، ودفنت بالبقيع، وهي آخر أزواج النبي ﷺ موتاً، وقيل: ميمونة، وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش ، وكانت قبل عند مولاه زيد بن حارثة فطلقها، فزوجها الله إياه من فوق سبع سماوات، وأنزل الله عليه: ﴿**فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا**﴾ وتوفيت بالمدينة سنة عشرين، ودفنت بالبقيع.

وتزوج رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية، تزوجها الرسول سنة ثلاث من الهجرة، وكانت تسمى أم المساكين، ولم تلبث عند رسول الله إلا يسيرا شهرين أو ثلاثة وتوفيت، وتزوج رسول الله ﷺ جويرية ابنة الحارث من بني المصطلق، وكانت سبيت في غزوة بني المصطلق، فوقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبها رسول الله ﷺ فقضى كتابتها، وتزوجها سنة ست من الهجرة، وتوفيت سنة ست وخمسين، وتزوج رسول الله ﷺ صفية بنت حيي من ولد هارون بن عمران أخي موسى سنة سبع، فإنها سبيت من خيبر، وتوفيت سنة ست وثلاثين، وقيل: سنة خمسين، وتزوج رسول الله ﷺ ميمونة بنت الحارث الهلالية، تزوج بها في سرف، وبنى بها بسرف، وماتت بسرف، وسرف على سبعة أميال من مكة، وميمونة

آخر من تزوج النبي ﷺ من أمهات المؤمنين، توفيت سنة احدى وستين، فهؤلاء جملة من دخل بهن من النساء، وهنَّ إحدى عشرة، وعقد على سبع ولم يدخل بهن، ولا خلاف أنَّه ﷺ توفي عن تسع وهنَّ: **عائشة، وحفصة، وزينب بنت جحش، وأم سلمة، وصفية، وأم حبيبة، وميمونة، وسودة، وجويرية**، وأول نسائه لحوقاً به زينب بنت جحش سنة عشرين، وآخرهن موتاً أم سلمة سنة اثنتين وستين في خلافة يزيد، وقيل ميمونه.. كما تقدم.

قوله: خصوصاً خديجة رضي الله عنها أم أكثر أولاده، وأول من آمن به وعاضده على أمره، وكان لها منه المنزلة العالية، والصديقة بنت الصديق رضي الله عنها، التي قال فيها النبي ﷺ: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام:

قوله: خصوصاً: أي ولا سيما خديجة وعائشة، فلهنَّ من المزايا والخصائص ما ليس لغيرهنَّ من أزواج النبي ﷺ.

قوله: أم أكثر أولاده: بل هي أم أولاده كلهم سوى إبراهيم، فإنَّه من سرَّيته مارية، ويروى أنَّ عائشة أتت بسقط ولم يصح ذلك، والمتفق عليه من أولاده ﷺ منها: **القاسم**، وبه كان يكنى، مات صغيراً قبل بعثته ﷺ أو بعدها، وبناته الأربع: **زينب، ثم رقية، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة**، وعبدالله وُلِدَ بعد المبعث.

قوله: وأول من آمن به: أي من النساء خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

وعاضده: أي أعانه ونصره، فإنَّ خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عاضدته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ونصرته.

قوله: وكان لها منه المنزلة العالية: أي الرفيعة؛ فكانت له وزير صدق، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحبها كثيراً ويذكرها، كما روى أحمد من حديث مسروق عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ولدها إذ حرمني أولاد النساء.

وفي صحيح البخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما غرت على امرأة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما غرت على خديجة لِما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أنَّ يبشرها بقصر في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب، روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: **(أتى جبريل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: يا رسول الله: هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام، أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه، ولا نصب)**.

قوله: والصديقة بنت الصديق: أي عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حبيبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بنت الصديق، أبوها أبوبكر الصديق لقبه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، وأنزل الله براءتها من فوق سبع سماوات.

قوله: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام: هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وغيرهما، عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام)**، ففي هذا الحديث دليل على فضل عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

قوله: كفضل الثريد: الثريد هو الخبز إذا أدم بلحم.

قوله: على سائر الطعام: أي جميعه، وفي الصحيح عن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، أي النساء أحب إليك قال: عائشة، قلت: ومن الرجال قال: أبوها، قلت: ثم من قال: عمر، وسمّى رجالاً.

قوله: ويتبرؤون من طريقة الروافض الذين يبغضون الصحابة ويسبونهم: أي أنَّ أهل السُّنة والجماعة وسط في أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويترضون عنهم جميعاً، ويتبرءون من طريقة الرافضة، **والرافضة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام:**

الأول: قسم غلاة غلوا في علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى زعموا أنَّه إله.

الثاني: وقسم مفضلة، يفضلون عليًّا على أبي بكر وعمر وغيرهما من الصحابة.

الثالث: السبابة يسبون أبا بكر وعمر وغيرهما من الصحابة، ويزعمون أنَّ عليًّا هو الوصي، وأن الصحابة غصبوه حقه وظلموه بتقديم أبى بكر وعمر.

فعاقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطوائف الثلاث، فأمر بإحراق أولئك الذين ادعوا فيه الإلهية، وأما السبابة الذين يسبون أبا بكر وعمر، فإنَّ عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما بلغه ذلك طلب ابن السوداء الذي بلغه ذلك عنه، وقيل إنه أراد قتله فهرب منه إلى قرقيسا.

وأما المفضلة الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر فروي عنه أنَّه قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا ضربته حد المفتري، وكان يقول على منبر الكوفة: (**خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر**)، ورُوِيَ عنه هذا من أكثر من ثمانين وجها، ورواه البخاري وغيره.

قوله: وطريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت بقول أو عمل: أي أنَّ أهل السُّنة يتبرءون من طريقة النواصب وهم الذين ينصبون العداوة لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأهل بيته، وأما الرافضة فإنهم يزعمون أنَّ من لم يتبرأ من الصحابة لم يتول القرابة، ويقولون: لا ولاء إلا ببراء، ويقابلهم الخوارج وأشباههم من النواصب الذين يزعمون أنَّ الرفض هو محبة أهل البيت، ويذمون الرفض بهذا المعنى، وهذا كله كذب وضلال، فأهل السُّنة

يوالون جميع الصحابة والقرابة، ويترضون عنهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها ويتبرؤون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم ومناقبهم ويعترفون بحقوق أهل البيت التي شرعها الله لهم ويرعونها.

قوله: **ويمسكون عما شجر بين الصحابة**: أي عن الخوض عما وقع بين الصحابة من اختلاف ومنازعة، سواء كان عاماً أو خاصاً رضي الله عنهم وأرضاهم.

قوله: **شجر**: المشاجرة المنازعة، فأهل السُّنة والجماعة يكفون عما جرى بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما في الخوض في ذلك من توليد البغض والحقد على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك من أعظم الذنوب، فإنهم خير القرون والسابقون الأولون، فتجب محبتهم جميعاً والترضي عنهم، والكف عما شجر بينهم، مع أنَّ جمهور الصحابة لم يدخلوا في فتنة، ولقد هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة آلاف، فما حضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين، وطريق الحق هو الكف عما شجر بينهم، والترضي عنهم جميعا ونقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلَّذِينَ آمَنوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

قوله: ويقولون: إن هذه الآثار المروية في مساويهم منها ما هو كذب، ومنها ما قد زيد فيه ونقص وغير عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون:

إما مجتهدون مصيبون، وإما مجتهدون مخطئون: أي أنَّ أهل السُّنة متفقون على محبة الصحابة والترضي عنهم؛ وأنهم خير الأمة بعد نبيهم لتواتر الأدلة في فضلهم، ولِمسابقتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله، وبذل نفوسهم وأموالهم في سبيل الله، كما أنَّهم متفقون على أنَّ الصحابة كلهم عدول ثقات لا يفتش عن عدالة أحد منهم، فلا يترك هذا العلم المتيقن المتحقق الثابت لمشكوك فيه، بل مقطوع بكذبه، فما يروى في حقهم من المثالب إما أنَّ يكون كذباً محضاً، وإما أنَّ يكون محرفاً قد دخله من الزيادة والنقصان، وإن ثبت ذلك فهو عن اجتهاد منهم، فهم معذورون ومأجورون على كلا الحالين، ولهذا اتفق أهل السُّنة ممن يعتدّ به على قبول شهادتهم وروايتهم وثبوت عدالتهم، وأنه يجب تزكيةُ جميعهم، ويحرم الطعن فيهم، ويجب اعتقاد أنَّهم أفضل جميع الأمة بعد النبي ﷺ.

قال أبو زرعة: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنَّه زنديق، وذلك أنَّ القرآن حق والرسول حق، وما جاء به حق، وما أدى ذلك النبأ كله إلا الصحابة، فمن جرحهم فإنما أراد إبطال الكتاب والسُّنة.. اهـ.

قوله: وهم مع ذلك لا يعتقدون أنَّ كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب في الجملة: أي أنَّ أهل السُّنة لا يعتقدون أنَّ الصحابة رضي الله عنهم معصومون عن الذنوب والخطايا وقد جاء

في حديث أبي ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في الحديث القدسي: (**إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم**) رواه مسلم.

فأهل السُّنة لا يرون عصمة أحد من الصحابة ولا من القرابة، أما الأنبياء عليهم السلام فاتفق العلماء على أنَّهم معصومون في تبليغ الرسالة، لا يُقرون على خطأ بالدين أصلاً، بل كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تنزيههم عنه، وكذلك معصومون من الكبائر، وعامة الجمهور الذين يجوزون عليهم الصغائر يقولون: إنهم معصومون من الإقرار عليها، فلا يصدر منهم ما يضرهم، أما النسيان والسهو في الصلاة فذلك واقع منهم، وفي وقوعه حكمة استنان المسلمين بهم، كما في الحديث: (**إنما أنا بشر أنسى كما تنسون**) متفق عليه.

قوله: ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لا يغفر لمن بعدهم؛ لأن لهم من الحسنات التي تمحو السيئات ما ليس لمن بعدهم؛ كما في قصة حاطب: فقد غفر له الذنب العظيم بشهوده بدراً ﴿**وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى**﴾، وفي جامع الترمذي أنَّ النبي ﷺ قال لما جاءه عثمان لتجهيز جيش العسرة: (**ما ضرَّ عثمان ما عمل بعد اليوم**) مرتين، رواه الترمذي وقال: حديث حسن، وروى أحمد وأبو داود والترمذي عن جابر أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة**)، وأخرج أحمد بسند رجاله

ثقات عن أبي سعيد الخدري أنَّ النبي ﷺ قال لأهل الحديبية: **(لا يدركنَّ قوم بعدكم صاعكم ولا مدكم)**.

قوله: حتى إنهم يغفر لهم من السيئات: وذلك لما لهم من الفضائل والسوابق والوعد بالمغفرة، قال تعالى: ﴿**وَكُلاًّ وَعَدَ اللهُ الْحُسْنَى**﴾، فلأصحاب رسول الله من الحسنات والأسباب التي تمحو السيئات أعظم نصيب، قال تعالى: ﴿**لِيُكَفِّرَ اللهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾، فلمقاماتهم العظيمة وجهادهم في الله أعداءه حق الجهاد يُحتَمل لهم ما لا يُحتَمل لغيرهم، كما ذكر ابن القيم رحمه الله في المدارج في أثناء كلام له حيث قال: أنَّه يُعفَى للمحب ولصاحب الإحسان العظيم ما لا يعفى لغيره، ويسامح بما لا يسامح به غيره، قال: وقد استدل الشيخ تقي الدين رحمه الله على ذلك بقصة سليمان عليه السلام حين ألهته الخيل عن صلاة العصر، فأتلفها فعوضه الله سبحانه وتعالى الريح، وكذلك لطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها ولم يعتب عليه ربه، وفي ليلة الإسراء راجع ربه في النبي ﷺ أنَّه رفع فوقه، ولم يعاتبه الله على ذلك، لما له من المقامات العظيمة.

قوله: وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنَّ خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم: وهذا رواه مسلم في الفضائل من حديث أبي هريرة، وأخرجه أبو داود من حديث ابن مسعود، وأخرجه البخاري ومسلم والنسائي من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنَّ رسول الله

ﷺ قال: (**خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**) قال عمران بن حصين: (**فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً**)، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: (**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته**).

قوله: قرني: يطلق القرن على مدة من الزمان اختلفوا في تحديدها، لكن جاء في حديث عبدالله بن بسر عند مسلم ما يدل على أنَّ القرن مائة عام، وهو المشهور.

قوله: ثم الذين يلونهم: أي يلون الصحابة، وهم التابعون.

قوله: ثم الذين يلونهم: يعني أتباع التابعين، واستدل بهذا على تعديل القرون الثلاثة وإن تفاوتت منازلهم في الفضل.

قوله: وأن المد من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا ممن بعدهم: كما في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**لا تسبوا أصحابي، فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**).

قوله: ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب فيكون قد تاب منه: لأن التوبة تجب ما قبلها، كما قال تعالى: ﴿**إِلاَّ مَنْ تَابَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**إِلاَّ**

الَّذِينَ تَابُوا﴾، وقال سبحانه: ﴿**أَفَلاَ يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾، وقال عن الكليم موسى عليه السلام إنه قال: ﴿**تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، ولذا فإنَّ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والتوبة تغفر جميع الذنوب.

قوله: أو أتى بحسنات تمحوه: لقوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾.

قوله: أو غُفر له لفضل سابقته: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: **(لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)** رواه البخاري ومسلم، كما في قصة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

قوله: أو بشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم: فإنهم أخص الناس بدعائه وشفاعته.

قوله: أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه: كما في الصحيح أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(ما يصيب المؤمن من وصب ولا نصب ولا غم ولا هم ولا حزن حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه)** رواه البخاري ومسلم، ولذا فإنَّ الذنب قد تسقط عقوبته بعدة أسباب في حق آحاد الناس فكيف في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم أحق بكل مدح ونفي كل ذمٍ ممن بعدهم من الأمة رضي الله عنهم وأرضاهم.

قوله: فإذا كان هذا في الذنوب المحققة؛ فكيف الأمور التي كانوا فيها مجتهدين: إن أصابوا؛ فلهم أجران، وإن أخطؤوا؛ فلهم أجر واحد، والخطأ مغفور، ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر مغمور في جنب فضائل القوم ومحاسنهم؛ من الإيمان بالله، ورسوله، والجهاد في سبيله، والهجرة، والنصرة، والعلم النافع، والعمل الصالح: أي لما في الصحيحين من حديث أبي هريرة وعمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد**).

قوله: ثم القدر: الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر، ومغمور أي: مغطى فما أتوا به من الحسنات وما لهم من الفضائل والسوابق غَمَرَ ما وقع منهم وغطاه وجعله كلا شيء، أو كقطرة نجاسة وقعت في بحر، هذا على فرض ثبوت ذلك عنهم ووقوعه منهم، وإلا فغالب ما ينقل عنهم من المساوئ إما كذب محض، وإما محرف، لأن غالب ما ذكر عنهم ذكره المؤرَّخون الذين يكثر الكذب فيما يروونه، ومن علم ما دل عليه القرآن والسُّنة من الثناء على الصحابة رضي الله عنهم واستحقاقهم الجنة؛ وأنهم خير هذه الأمة التي أخرجت للناس لم يعارض هذا المتيقن المعلوم بأمور مشتبهة، منها ما لا يعلم صحته، ومنها ما يتبين كذبه، ومنها ما لا يعلم كيف وقع، ومنها ما يعلم عذر القوم فيه، ومنها ما يعلم توبتهم منه، والله اعلم.

قوله: ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما من الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنَّهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله:

قوله: ومن نظر: أي تدبر وتفكر فيها، وقوله: (**في سيرة القوم**) أي: فيما كانوا عليه من الأحوال الفاضلة والسيرة العادلة.

قوله: بعلم وبصيرة: أي بمعرفة ويقين، والبصيرة للقلب والبصر للعين.

قوله: علم يقيناً: أي عَلِمَ علماً لا يدخله شك ولا شبهة، واليقين: هو الاعتقاد الجازم والتصديق التام.

قوله: وأنهم الصفوة: أي أصحاب رسول الله ﷺ هم خير الخلق بعد الأنبياء، وأنهم أكمل هذه الأمة عقلاً وعلماً وديناً، لقول النبي ﷺ: (**خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم**) وفي لفظ (**خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**) رواه البخاري ومسلم، وكما قال سبحانه: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾، وروى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية عن أبيه رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: (**أنتم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله سبحانه**) رواه الترمذي وابن ماجه.

ولذا قال المصنف: (**وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التي هي خير الأمم وأكرمها على الله**)، روى مسلم مرفوعاً: (**نحن الآخرون من أهل**

الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق)، وهذا الحديث يدل على فضل هذه الأمة، فكيف بصحابة رسول الله ﷺ، الذين ذكر الله فضلهم بالقرآن، كقوله تعالى: ﴿**لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ**﴾، وقوله تعالى: ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا**﴾، وكما تقدم في حديث: (**لا تسبوا أصحابي فإنَّ أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه**).

قوله: ومن أصول أهل السُّنة التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات:

قوله: التصديق بكرامات الأولياء: الكرامة هي ما يجري الله على أيدي أوليائه من المؤمنين من خوارق العادات، كما جرى لأسيد بن حضير في نزول الظلة عليه بالليل فيها مثل السرج، فأخبر النبي ﷺ بذلك فقال: (**تلك الملائكة نزلت لسماع قراءتك**) رواه مسلم وغيره، ومثل ما جرى لسعد بن أبي وقاص في القادسية، ومرورهم على الماء بجنودهم، وقد جرى قبل ذلك نحوه للعلاء بن الحضرمي.

ومثل هذه الكرامات من أصول أهل السُّنة والجماعة التصديق بها، وإنما أنكرها أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ومن تابعهم.

قوله: من خوارق العادات؛ أي جاءت على خلاف مألوف الآدميين فخرقت العادة.

قوله: في العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات؛ وذلك أنَّ الكرامة تنقسم إلى أقسام: **منها ما يكون في الكشف والعلم، ومنها ما يكون في القدرة والتأثير.**

فما كان من باب العلم والكشف، فتارة يسمع ما لا يسمعه غيره، أو يرى ما لا يراه غيره يقظة أو مناماً أو نحو ذلك، ويسمى كشفا، ومشاهدات، ومكاشفات، ومخاطبات، فالسماع مخاطبات، والرؤيا مشاهدات، والعلم مكاشفة، ويسمى ذلك كله كشفا ومكاشفة، أي كشف له عنه.

وأما القدرة والتأثير فكانشقاق القمر، ورد الشمس ليوشع بن نون، وإسرائه ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ونبع الماء بين أصابعه غير مرة، إلى غير ذلك.

وأما الخوارق لغير الأنبياء فهو من باب الكشف والعلم، فمثل قول عمر في قصة سارية، ومثل إخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام، وأما من باب القدرة والتأثير

فمثل قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف وقصة مريم ونحو ذلك.

ولا يكون الخارق كرامة إلا إذا جرى على يد صالح متبع للسنَّة، فمن ادعى محبة الله وولايته ولم يتبع محمداً ﷺ فليس من أوليائه، بل من أعدائه وأولياء الشيطان، كما قال تعالى: ﴿**قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾.

فعلى هذا فالشرط في الكرامة أنَّ تكون على يد متبعٍ للشرع المطهر، وبهذا التفصيل يظهر الفرق بين المعجزة والكرامة والأحوال الشيطانية، فالثلاث تجتمع في كونها خارقة للعادة، وتمتاز المعجزة في كونها على يد مدعي الرسالة والنبوة، فيؤيد الله الصادقين بأنواع المعجزات والأخلاق والأعمال التي تدل على صدقهم، وقد يكون منها ما لا يستطيع المخلوق مثله، كإنزال القرآن، ونبوع الماء من بين أصابعه، وإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى في حق عيسى، وكعصا موسى ويده، أما الكرامة فهي الخارقة الحاصلة على يد المؤمن التقي المتبع لشرع محمدٍ ﷺ ودينه، إما لتقوية إيمانه أو لِحاجة أو لإِقامة حجة على خصمه المعارض له في الحق، كما جرى لسعيد بن زيد وسعد بن أبي وقاص لما دعوا على من رماهما بخلاف الحق، فأجاب الله دعوتهما، أما إذا وقعت الخارقة على يد معرض عن الشرع صاد عن الحق متلبس بالمعاصي فيكون من الأحوال الشيطانية

التي تصد بها الشياطين الناس عن اتباع الحق.

قوله: والمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها:

قوله: كالمأثور عن سالف الأمم: أي كالمروي عن متقدم الأمم من الكرامات وخوارق العادات، كحمل مريم بلا زوج، وإحضار عرش بلقيس في لحظة من مسيرة شهر، وكما ذكر سبحانه في سورة الكهف عن أصحاب الكهف أنَّهم بقوا ثلاثمائة سنة، فإنَّ بقاءهم ثلاثمائة سنة وازدادُ تسعاً بلا آفة من أعظم الخوارق.

قوله: وعن صدر هذه الأمة: أي أول هذه الأمة من الصحابة والتابعين، كقصة العلاء بن الحضرمي وأصحابه حين مشوا على الماء، وكرؤية عمر لجيش سارية وهو على المنبر في المدينة وندائه لأمير الجيش وهو بنهاوند: يا سارية الجبل، تحذيرا له من العدو مع بعد المسافة إلى غير ذلك.

قوله: من الصحابة والتابعين: التابع لغة: التالي، وفي عرف الفقهاء: من اجتمع بالصحابي.

قوله: وسائر فرق الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة: أي أنَّ كرامات الأولياء لا تزال موجودة إلى يوم القيامة في جميع أمة محمد ﷺ بشرطها المتقدم.

قوله: وسائر: أي باقي أو جميع فرق الأمة، فتوجد الكرامات وخوارق العادات في جميع أصناف أمة محمد ﷺ، فيوجد ذلك في أهل القرآن وأهل العلم، وفي أهل الجهاد، وفي التجار والصناع والزراع وغيرهم ممن كان صالحاً متبعاً لسنة محمدٍ ﷺ.

قوله: فصل: ثم من طريقة أهل السُّنة والجماعة:

قوله: طريقة: أي سبيل ومنهاج، والسُّنة: ما صح عن النبي ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره.

ولا ريب أنَّ السُّنة المطهرة مستقلة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في التحليل والتحريم وغير ذلك، لما روى المقداد بن معدي كرب عن النبي ﷺ أنَّه قال: (**ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه**) رواه أبو داود وإسناده صحيح، وما روي من الأمر بعرض الأحاديث على القرآن، فإنه موضوع وضعته الزنادقة، وهو مخالف لقوله تعالى: ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾ الآية.

قوله: اتباع آثار رسول الله ﷺ: أي سلوك طريقه والسير على منهاجه، وقد اتفقوا على أنَّ حبه ﷺ لا يتحقق إلا باتباعه والتسليم لما جاء به، والعمل بسنته، وترك ما خالفها قال تعالى: ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا**

قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

قوله: آثار رسول الله ﷺ: أي ما أُثر عنه وروي عنه من قول أو فعل أو تقرير، وليس المراد آثاره الحسية كمواضع نومه ﷺ وجلوسه وقيامه ونحو ذلك، فلا ينبغي تتبع ذلك؛ لأنه وسيلة إلى الفتنة بتلك المواضع، ولذلك قطع عمر بن الخطاب الشجرة التي بايع النبي ﷺ تحتها الصحابة لما بلغه أنَّ أُناساً يذهبون إلى شجرةٍ فيصلون تحتها، ونهى عن إتباع آثاره الحسية، وقال: إنما هلك من كان قبلكم باتباع آثار أنبيائهم.

قوله: باطناً وظاهراً: إشارة إلى أنَّه لا بد من الإخلاص في العمل، وأن الإتباع يكون في الباطن والظاهر، فالباطن منه عمل القلب واعتقاده، والظاهر عمل الجوارح الظاهرة.

قوله: واتباع سبيل السابقين: أي سلوك طريقهم والسير على منهاجهم.

قال الإمام أحمد: أصول السُّنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ ولهذا كان اعتقاد الفرقة الناجية هو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه كما شهد لهم بذلك رسول الله ﷺ في قوله: (**وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة**، قيل: من هي يا رسول الله، **قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**). وفي بعض الروايات هي الجماعة. (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم).

قوله: واتباع وصية رسول الله ﷺ، حيث قال: عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإنَّ كل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة: أي كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: (**عليكم بسنتي وسُنَّة الخلفاء الراشدين**) (الحديث رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حسن صحيح)، ولحديث: (**اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر**) رواه الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه.

قوله: وسُنَّة الخلفاء الراشدين: وهم الخلفاء الأربعة: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي.

قوله: المهديين: يعني أنَّ الله سبحانه يهديهم إلى الحق ولا يضلهم عنه.

قوله: تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ: النواجذ آخر الأضراس، وهو كناية عن شدة التمسك بها.

قوله: محدثات: والمراد بها البدع، **والبدعة إلى قسمين:**

بدعة اعتقاد، وهو اعتقاد خلاف ما أخبر به الرسول ﷺ كقوله: ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: من هي يا رسول الله قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي. (رواه أبوداود وغيره).

وبدعة عملية، وهو التعبد بغير ما شرع الله ورسوله، فمن تعبد بغير الشرع أو حرم شيئاً لم يحرمه فهو مبتدع، كما في الصحيح من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**) متفق عليه.

قوله: ويعلمون أنَّ أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

فكل ما أخبر به سبحانه فهو صدق وحق، كما قال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً**﴾، وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: (**صبحكم ومساكم، ويقول: أما بعد فإنَّ خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة**) رواه مسلم.

قوله: وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الهدي بفتح الهاء وسكون الدال: السمت والطريقة والسيرة، وقرئ بالضم أي: الدلالة والإرشاد، والمراد تفضيل دينه وسنته على سائر الأديان والسنن، فدينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أكمل الأديان على الإطلاق، وشريعته أفضل الشرائع اختارها الله لخيرته من خلقه، ولأمته خير أمة أخرجت للناس، وجعلها حجة باقية إلى يوم القيامة، لا يتطرق

إليها النسخ، ولا يعتريها التبديل والتغيير الذي وقع في الشرائع قبلها.

قوله: ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أصناف الناس: أي يقدمون كلام الله على كلام غيره من خلقه كائناً من كان، ولا يعدلون عنه ولا يعارضونه بمعقول ولا قول فلان، فإنَّه الفرقان، المفرِّق بين الحق والباطل، والنافع والضار، وهو الإمام الذي يجب اتباعه والرجوع إليه عند التنازع؛ إذ لا سعادة في الدنيا والآخرة إلا بالاعتصام بحبل الله، ولا نجاة إلا بالتمسك بما جاء في كتابه، قال الله تعالى: ﴿**وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾.

قوله: ويقدمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد: لأن شريعته ﷺ أفضل الشرائع، فمن إدَّعَى أنَّ هدي غير محمد أفضل من هديه فهو من أضل الناس، ولا يجوز له أنَّ يخرج عن طاعة الرسول ﷺ وتصديقه في شيء من أموره الباطنة والظاهرة.

قوله: ولهذا سموا أهل الكتاب والسُّنة: وذلك لاتباعهم للكتاب والسُّنة الثابتة عن نبيهم في الأصول والفروع، والأخذ بهما في القليل والكثير، والسُّنة ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه في عهده مما أمرهم به أو أقرهم عليه أو فعله هو عليه الصلاة والسلام.

قوله: وسموا أهل الجماعة: لاجتماعهم على آثار الرسول، والعمل بذلك وتحكيمه في القليل والكثير، فالجماعة هم المجتمعون الذين ما فرَّقوا دينهم وكانوا شيعاً، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللهِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ**﴾، قال ابن عباس: تبيض وجوه أهل السُّنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفُرقة، وروى الإمام أحمد عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**إن ذئب الإنسان كذئب الغنم، يأخذ الشاردة القاصية، فإياكم والشعاب، وعليكم بالجماعة والعامة والمسجد**).

قوله: والإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين، وهم يزنون بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوال وأعمال باطنة أو ظاهرة مما له تعلق بالدين:

قوله: والإجماع: اصطلاحاً: هو اتفاق علماء العصر من الأمة على أمر ديني، وهو حجة قاطعة يجب العمل به عند الجمهور، والدليل على حجية الإجماع قوله تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**﴾، وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مرفوعاً: (**لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة أبدا**) رواه الترمذي، وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعاً: (**لا تجتمع هذه الأمة على ضلالة، فإنَّ رأيتم الاختلاف فعليكم بالسواد الأعظم الحق وأهله**) رواه ابن ماجه، وعن

أبي ذر مرفوعاً: (**عليكم بالجماعة، فإنَّ الله لم يجمع أمتي إلا على هدى**) رواه أحمد، وعن أبي ذر مرفوعاً: (**من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**)، **قوله: هو الأصل الثالث:** الأصل في الاصطلاح: ما بني عليه غيره، **قوله:** (**الثالث**): أي من الأدلة التي هي الكتاب والسُّنة، والثالث هو الإجماع، والذي عليه الأئمة تقديم الكتاب والسُّنة على الإجماع، وجعل الإجماع في المرتبة الثالثة، قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: الحجة كتاب الله وسُّنة رسوله واتفاق الأئمة، وروى الترمذي في جامعه عن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال له لما بعثه إلى اليمن: كيف تقضي قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإنَّ لم يكن في كتاب الله قال: بسنة رسول الله، قال: فإنَّ لم يكن في سنة رسول الله قال: أجتهد برأيي، قال: الحمد لله الذي وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضي رسول الله.

قوله: الذي يعتمد عليه في العلم والدين: أي الإجماع يستند إليه، للأدلة الدالة على عصمة هذه الأمة من الاجتماع على ضلالة، وأن الإجماع كما تقدم حجة قاطعة يجب العمل به.

قوله: وهم يزنون: أي أنَّ أهل السُّنة والجماعة يَعْرِضون جميع الأقوال والاعتقادات على هذه الأصول الثلاثة، وهي الكتاب والسُّنة والإجماع.

قوله: مما له تعلق بالدين: أي كالصلاة والصيام والزكاة ونحو ذلك، أما ما لا تعلق له بالدين كأمور المعائش والعادات، فالأصل فيه الإباحة

فالإجماع ليس بحجة فيها، لما روى مسلم في صحيحه عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: (**أنتم أعلم بأمر دنياكم**).

قوله: والإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح، إذ بعدهم كثر الاختلاف، وانتشرت الأمة: أي الإجماع الذي يمكن العلم به وينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح في القرون الثلاثة، وبعدهم يصعب وجوده ولا يُنفى.

قوله: فصل: ثم هم: أي أهل السُّنة والجماعة.

قوله: مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة: أي كما وصفهم الله بذلك فقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، وفي صحيح مسلم والترمذي وغيرهما عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإنَّ لم يستطع فبلسانه، فإنَّ لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**).

قوله: على ما توجبه الشريعة: أي أنَّه يجب أنَّ يكون الآمر بالمعروف

والناهي عن المنكر متبصرًّا عالماً بما يأمر به، وأنه مطابق للشريعة، قال تعالى: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾، ولا بد للآمر من العلم، والرفق، والصبر، فالعلم قبل الأمر والنهي، والرفق معه، والصبر بعده، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل عظيم من أصول الشريعة، ولولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لَهُدِمَ بنيان الشريعة، وعمت الفوضى في البلاد نسأل الله العافية.

قوله: ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً: أي ويعتقدون أنَّ من أصول أهل السُّنة والجماعة أنَّ الصلاة التي يقيمها ولاة الأمور تصلى خلفهم على أي حالة كانوا، كما يُحج معهم ويُغزى، ولا يرون الخروج عليهم وقتالهم بالسيف إذا كان فيهم ظلم، خلافاً للمبتدعة من الخوارج والمعتزلة والرافضة الذين يرون جواز الخروج على ولاة الأمور إذا فعلوا ما هو ظلم أو ما ظنوه هم ظلماً، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنْكُمْ**﴾ الآية، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها، قالوا: فما تأمرنا قال: تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: (**من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني**). وعن

أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: (**الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً**) رواه أبو داود، وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: (**إن خليلي أوصاني أنَّ أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف**)، وروى مسلم في صحيحه عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (**من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**)، وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (**من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية**)، إلى غير ذلك من الأدلة الدالة على وجوب طاعة ولاة الأمور، فإذا أمروا بطاعة الله وجبت طاعتهم، وإذا أمروا بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة، كما في الصحيح أنَّه قال: (**إنما الطاعة في المعروف**)، وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنَّه قال: (**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**).

وفي طاعة ولاة الأمور من المنافع والمصالح الشيء الكثير، ففيها سعادة الدين وانتظام مصالح العباد في معاشهم، ويستعينون بها على إظهار دينهم وطاعة ربهم، كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الناس لا يصلحهم إلا إمام بَرٌّ أو فاجرٌ، إن كان فاجراً عبد المؤمن ربه، وحُمل الفاجرُ فيها إلى أجله.

وقال الحسن في الأمراء: هم يلون من أمورنا خمساً: «**الجمعة والجماعة**

والعيد والثغور والحدود»، والله ما يستقيم الدين إلا بهم، وإن جاروا أو ظلموا، والله لما يصلح الله بهم أكثر مما يفسدون، وقال بعضهم: (**ستون سنة مع إمام جائر خير من ليلة واحدة بلا إمام**)، وروي أنَّ عمرو بن العاص أوصى ابنه فقال: إمام عادل خير من مطر وابل، وأسد خطوم خير من إمام ظلوم، وإمام ظلوم غشوم خير من فتنة تدوم.

قوله: أبراراً كانوا أو فجاراً: أي تجب طاعة ولاة الأمور في الطاعة، وتحرم مخالفتهم والخروج عليهم، سواء كانوا أبرارا أو فجاراً.

ويجب على المسلمين نصب خليفة، **ونصبه يكون بأحد أمور:**

إمّا باستخلاف مَنْ قَبْلَهُ له، كما فعل أبو بكر الصديق في استخلافه عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أو باتفاق أهل الحل والعقد أو بجعلها شورى بين جماعة، كما فعل عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو قهر الناس حتى دانوا له ودعوه بها، أي من غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة.

فلا ينعزل الإمام بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع، ولا يجوز الخروج عليه بل يجب وعظه، وذلك لما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه، والشريعة جاءت بجلب المصالح ودفع المضار.

قوله: ويحافظون على الجمع الجماعات: لأنها من أجل العبادات،

ومن أهمِّ الطاعات، ومن أعظم شعائر الإسلام، فيجب حضورها ويحرم التخلف عنها إلا لعذر، وصلاة الجماعة فرض عين هذا هو المشهور عن أئمة السلف، وعلماء الحديث، والصحابة كانوا يصلون الجمعة والجماعة: خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون.

قوله: ويدينون بالنصيحة للأمة: أي يتعبدون بالنصيحة لجميع الأمة، لما في صحيح مسلم من حديث تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة**)، قالها ثلاثا، قلنا: لمن يا رسول الله قال: (**لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**).

والنصيحة كلمة جامعة، معناها حيازة الحظ للمنصوح له، والنصيحة تسمى ديناً وإسلاماً، والدين يقع على العمل، كما يقع على القول، وهي فرض كفاية يجزئ فيه من قام به ويسقط عن الباقين.

فمعنى النصيحة لله: صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى عنه والنصيحة لأئمة المسلمين السمع والطاعة لهم بالمعروف والدعاء لهم وتحريم الخروج عليهم، والنصيحة لعامة المسلمين بتعليمهم ونفعهم وإرشادهم إلى مصالحهم.

وفي صحيح مسلم عن النبي ﷺ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **(حق المؤمن على المؤمن ست)** فذكر منها: **(وإذا استنصحك فانصح له)**.

قوله: **ويعتقدون معنى قوله ﷺ: المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص، يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه، وقوله ﷺ: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد: إذا اشتكى منه عضو؛ تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر:**

قوله: **ويعتقدون معنى قوله ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان:** هذا الحديث رواه البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري، وفيه الحث على التناصر والتناصح والتعاون، وقال ابن بطال: والمعاونة في أمور الآخرة، وكذا في الأمور المباحة من الدنيا مندوب إليها، لحديث أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه)**.

قوله: **وشبك بين أصابعه:** يستفاد منه أنَّ الذي يريد المبالغة في بيان أقواله يمثلها في حركاته، وليكون أوقع في النفس.

قوله: **مثل المؤمنين:** هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث النعمان بن بشير.

قوله: **كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو**: أي تحاببهم وتراحمهم، وتلاطفهم، وعطف بعضهم على بعض، كمثل الجسد الواحد إذا ألَّمه أحد أعضاءه، ففي الحديث تمثيل لصفات المؤمنين ومنها التعاطف فيما بينهم والتراحم، ومحبة بعضهم لبعض الخير.

قوله: **ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء والرضا بمر القضاء**: وهذه الثلاثة المذكورة في المتن من صفات المؤمنين، وهي عنوان السعادة وعلامة الفلاح، وقد جاءت الأدلة في الأمر بالصبر والحث عليه، قال تعالى: ﴿**وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ**﴾، وقال النبي ﷺ: (**الصبر ضياء**)، وقال علي رضي الله عنه: إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له.

أما الرضا فهو من أجل الطاعات، وهو مستحب على الصحيح، كما في صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (**ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً**) فالرضا بربوبيته يتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريك له، والرضا بتدبيره للعبد واختياره له.

والشكر هو فعل ينبئ عن تعظيم المنعم لكونه منعماً، وهو شرعاً صرف

العبد جميع ما أنعم الله به عليه لما خلق لأجله، ويتعلق بالقلب واللسان والجوارح.

وهو مبني على ثلاثة أركان: التحدث بالنعمة ظاهراً، والاعتراف بها باطناً، وصرفها في طاعة موليها ومسديها وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

قوله: ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال: أي أنَّ أهل السُّنة والجماعة يحثون ويرغبون في مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال، كالكرم والشجاعة والصدق والأمانة ونحو ذلك؛ لأن ذلك من صفات المؤمنين، ومن أخص علامات الإيمان، كما في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ مرفوعاً: (**خصلتان لا يجتمعان في منافق، حسن سمت وفقه في الدين**) (رواه الترمذي)، وقد جمع الله لرسوله مكارم الأخلاق في قوله تعالى: ﴿**خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾، وأمر الله نبيه بمكارم الأخلاق، مع اتصافه بها عليه الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾.

وفي الصحيح أنَّ أبا ذر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ **قال لأخيه لما بلغه مبعث النبي** صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: اركب إلى هذا الوادي فاسمع من قوله، فرجع فقال: رأيته يأمر بمكارم الأخلاق، وفي الحديث أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: (**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**) (رواه أحمد، ورواه مالك في الموطأ)، ولفظه: قال: بلغني أنَّ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: (**بعثت لأتمم حسن الأخلاق**) وهي في العفو والحلم والجود

والصبر وتحمل الأذى والرحمة والشفقة وقضاء الحوائج ونحو ذلك.

وحسن الخلق يقوم على أربعة أركان: **الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل،** فالصبر يحمله على الاحتمال وكظم الغيظ، والحلم والأناة والرفق، والعفة تحمله على اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، والشجاعة تحمله على عزة النفس وقوتها على إخراج المحبوب وتحمله على كظم الغيظ والحلم، والعدل يحمله على اعتدال أخلاقه وتوسطه بين طرفي الإفراط والتفريط.

قوله: ويعتقدون معنى قوله ﷺ أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً: وهذا الحديث رواه أحمد والترمذي، من حديث أبي هريرة وتمامه: **(وخياركم خياركم لنسائهم)**، قال النووي رحمه الله: حُسن الخُلُق كلمة جامعة للإحسان إلى الناس وكف الأذى عنهم، وفي هذه الحديث الحث على حسن الخلق، وأنه من صفات المؤمنين، والخلق بالضم صورة الإنسان الباطنة، وبالفتح صورته الظاهرة.

وقد وردت أحاديث في مدح حسن الخلق وذم سوء الخلق، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ سئل عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال: **(تقوى الله وحُسن الخُلق)** رواه الترمذي وصححه، ولأبي داود من حديث عائشة مرفوعاً: **(إنَّ الرجل ليبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم)**.

وأخبر النبي ﷺ أنَّ حسن الخلق أثقل ما يوضع في الميزان، وأنَّ صاحبه أحب الناس إلى الله وأقربهم من النبيين مجلساً، وروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: **(ما من شيء يوضع في ميزان العبد أثقل من حسن الخلق، وإن صاحب حسن الخلق ليبلغ به درجة صاحب الصوم والصلاة)**.

وأخرج ابن حبان في صحيحه من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي ﷺ: **(ألا أخبركم بأحبكم إلى الله وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة؟)** قالوا: بلى قال: **(أحسنكم أخلاقاً)**، وفي هذا الحديث دليل على أنَّ الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وفيه تفاضل الناس في الإيمان، والرد على من زعم أنَّ الإيمان لا يتفاضل، وأن الناس فيه سواء.

قوله: ويندبون إلى أنَّ تصل من قطعك: أي يدعون ويحثون ويرغبون في صلة من قطعك، **والندب لغةً**: الدعاء، كما قال بعضهم:

لاَ يَسْأَلُـون أَخاهُمْ حِينَ يَندُبُهم

في النَّائِبـاتِ على ما قال بُرْهانا

واصطلاحاً: هو ما أثيب فاعله ولم يعاقب تاركه، ويسمى المندوب سنةً وتطوعاً ومستحباً ونفلاً وقربةً ومرغباً فيه، أي أنَّ أهل السُّنة يندبون إلى أنَّ تصل من قطعك إلى آخره.

وفي الحديث: (**أفضل الفضائل أنَّ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك**).

قوله: وتصل من قطعك: أي تصل رحمك وإن قطعك، كما في الصحيح: (**ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها**).

قوله: وتعطي من حرمك: أي منعك ما هو لك؛ لأن مقام الإحسان إلى المسيء ومقابلة إساءته بإحسان من كمال الإيمان.

قوله: تعفو عمن ظلمك: العفو هو الصفح والتجاوز عن الذنب، أي: تصفح عمن ظلمك وتتجاوز عن ذنبه، ولا تؤاخذه بما نال منك، فإنَّ ذلك من خصال الإيمان، وسبب للرفعة والعزة، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ**﴾، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ النبي ﷺ قال: (**ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**) رواه مسلم.

قوله: ويأمرون ببر الوالدين: أي طاعتهما والإحسان إليهما وخفض الجناح لهما، والشفقة عليهما، والتلطف بهما، وذلك لعظم حقهما، قال الله تعالى: ﴿**وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ**﴾.

وفي الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود أَنَّه قال: قلت: يا رسول الله أي العمل أفضل؟ قال: **الصلاة في أول وقتها**، قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: **الجهاد في سبيل الله**، قال: قلت: ثم أيّ؟ قال: **بر الوالدين**، والبِر بكسر الراء هو التوسع في فعل الخير.

وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **ألا أخبركم بأكبر الكبائر**؟ قال: قلنا: بلى يا رسول الله، قال: **الإشراك بالله، وعقوق الوالدين**، وكان متكئاً ثم جلس فقال: **ألا وقول الزور، ألا وشهادة الزور**، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت. رواه البخاري ومسلم، ومعنى العقوق: إذا آذى والديه وعصاهما وخرج عليهما وهو ضد البر بهما.

قوله: وصلة الأرحام: أي الإحسان إلى الأقربين من ذوي النسب والأصهار، والتعطف عليهم والرفق بهم، وصلة الأرحام واجبة وقطيعتها حرام، قال تعالى: ﴿**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ**﴾، وفي هذه الآية دلالة على حرمة قطيعة الرحم، وأنها كبيرة من الكبائر.

وفي الصحيحين من حديث جبير بن مطعم عن أبيه مرفوعاً: (**لا يدخل الجنة قاطع**) يعني قاطع رحم.

وفي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

(من أحب أنَّ يبسط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) وتوصل الرحم بالسَّلام عليهم والدعاء لهم والنفقة على المحتاج منهم وتفقد أحوالهم والتغافل عن زلَّاتهم وطلاقة الوجه لهم.

قوله: وحسن الجوار: أي بالإحسان إلى الجار بالهدية والسَّلام وطلاقه الوجه، ومعاونته فيما يحتاج إليه، وكف أسباب الأذى عنه، وتعظيم حق الجار من كمال الإيمان، ومن أعظم مكارم الأخلاق، قال تعالى: ﴿**وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ**﴾.

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: **من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره**، وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: **(ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنَّه سيورثه)**.

وفي صحيح البخاري عن أبي شريح رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **(والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن)** قيل من يا رسول الله: قال: **(من لا يأمن جاره بوائقه)**، ففي هذه الأحاديث دلالة على عظم حق الجار، والحث على إكرامه واحتمال أذاه، وأن ذلك من صفات المؤمنين، وفيه النهي عن أذى الجار والدلالة على تحريمه، وأنه من كبائر الذنوب، فإنَّ الأذى بغير حق حرام لكل أحد، ولكن في حق الجار أشد تحريما، كما في

الصحيحين من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّه سأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أي الذنب أعظم؟ قال: (**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**)، قال: قلت ثم أي؟ قال: (**أن تقتل ولدك مخافة أنَّ يطعم معك**)، قال: قلت ثم أي؟ قال: (**أن تزاني حليلة جارك**).

قال النووي: **الجار يقع على أربعة**: الساكن معك في البيت، ويقع على من لاصق بيتك، ويقع علي أربعين داراً من كل جانب، ويقع على الساكن في البلد، قال الله تعالى: ﴿**لاَ يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلاَّ قَلِيلاً**﴾.

قوله: والإحسان إلى اليتامى: اليتيم هو من مات أبوه قبل بلوغه، والإحسان إلى اليتامى رعاية أحوالهم والتلطف بهم وإكرامهم والشفقة عليهم، وفيه فضل عظيم كما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**) وقال بأصبعيه السبابة والوسطى.

قوله: والمساكين: جمع مسكين، وهو الذي يركبه ذل الفاقة والفقر، فتمسكن لذلك، وإذا أطلق المسكين دخل فيه الفقير وبالعكس، وإذا ذكرا معاً فسَّر كل واحد منهما بتفسير، فالفقير أشدُّ حاجة من المسكين، والمراد بالإحسان إلى المساكين: رعاية أحوالهم وتقريبهم والتلطف بهم وإكرامهم قال تعالى: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ**﴾، وعن

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **(الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله)**، وأحسبه قال: **(كالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر)** رواه البخاري ومسلم.

قوله: وابن السبيل: وهو المسافر المنقطع به، والسبيل الطريق، وسُمِّي بذلك لملازمته السفر قال تعالى: ﴿**يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللهَ بِهِ عَلِيمٌ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾.

قوله: والرفق بالمملوك: الرفق هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل، والمماليك هم العبيد والأرقاء ومن في حكمهم، كما أوصى سبحانه بذلك، فقال تعالى: ﴿**وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**﴾.

وكذلك أوصى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهم كثيراً وأمر بالإحسان إليهم، وروي أنَّ آخر ما أوصى به عند موته قوله: **(الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم)** رواه أبو داود، وعن أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **(لا يدخل الجنة سيئ الملكة)**، أخرجه الترمذي وفيه ضعف لأن فرقد

السبخي ضعيف، لكن له شواهد فالواجب على كل مسلم أنَّ يحسن الولاية في مماليكه، وفي أولاده وفي غيرهم، ولهذا قال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم: (**للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق**)، فليس لهم أنَّ يظلموا المماليك والأولاد، بل الواجب الإحسان إليهم، والرحمه بهم، وكذا يحسن إلى ما يملكه من البهائم والدواب.

قوله: **وينهون عن الفخر:** أي المباهاة بالمكارم والمناقب، من حسب ونسب، سواء كان فيه أو في آبائه، كما روى مسلم في صحيحه من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إن الله أوحى إلي أنَّ تواضعوا حتى لا يبغي أحد على أحد، ولا يفخر أحد على أحد**).

قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**﴾، **المختال:** هو المتكبر العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الناس، **والفخور:** هو الذي يفخر على الناس، ويعدد مناقبه تكبراً وتطاولاً على من دونه.

قوله: والخيلاء: الخيلاء بضم الخاء المعجمة وكسرها: الكبر والعجب، والمخيلة بفتح الميم وكسر المعجمة من الاختيال، وهو الكبر واستحقار الناس.

وفي البخاري معلقاً عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: (**كل ما شئت واشرب ما شئت ما أخطأتك اثنتان سرف ومخيلة**).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**لا ينظر الله إلى من جرّ إزاره بطراً**) متفق عليه.

وعنه أنَّ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل جمته يختال في مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**) رواه البخاري ومسلم.

قوله: والبغي: وهو العدوان على الناس قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**﴾، وعن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**ما من ذنب أجدر أو أحق من أنَّ يعجَّل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر الله له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**) رواه الترمذي والحاكم وصححاه.

قوله: والاستطالة على الخلق بحق وبغير حق: أي ينهون عن الاستطالة على الخلق، وهو الفخر والبغي، لأن المستطيل إن كان بحق فهو فخر، وإن كان بغير حق فهو بغي، ولذا ينهون عن الترفع على الخلق واحتقارهم والوقيعة فيهم.

قوله: ويأمرون بمكارم الأخلاق وينهون عن سفسافها: أي يأمر أهل السُّنة بمعالي الأخلاق؛ لأنها من أخلاق المؤمنين، كالسخاء والصدق والأمانة والشجاعة والحلم، ونحو ذلك، (وينهون عن سفسافها) أي

رديئها وحقيرها، كالبخل والجبن والكذب والغيبة والنميمة ونحو ذلك، وروى البيهقي في شعب الإيمان عن طلحة بن عبيد الله مرفوعاً: (**إن الله جواد يحب الجود، ويحب معالي الأخلاق ويكره سفسافها**)، والسفساف: الأمر الحقير والرديء من كل شيء، وهو ضد المعالي والمكارم، وهذا الحديث صححه الألباني في الجامع، وأصل السفساف ما يطير من غبار الدقيق إذا نخل، والتراب إذا أثير، قال ابن القيم:

وهو الجواد فجوده عم الوجو...

...د جميعه بالفضل والإحسان

وهو الجواد فلا يخيب سائلاً

ولو أنَّه من أمة الكفران

وفي الحديث: (إن الله يحب معالي الأمور ويبغض سفسافها) صححه الألباني، ففي هذا الحث على معالي الأمور في الدين والدنيا والابتعاد عن الأفعال الدنيئة.

قوله: وكل ما يقولونه ويفعلونه من هذا أو غيره فإنما هو فيه متبعون للكتاب والسُّنة: أي أهل السُّنة والجماعة متبعون للكتاب والسُّنة، فأقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم كلها مقيدة بالكتاب والسُّنة، كما قال تعالى: ﴿**وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ**﴾، وقال تعالى: ﴿**فَإِنْ**

تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ﴾ الآية، فكما يجب إفراد الله سبحانه بالعبادة فكذلك يجب توحيد الرسول ﷺ بالمتابعة، قال ابن القيم:

فلواحد كن واحدا في واحد

أعني سبيل الحق والإيمان

فمن أعرض عن الكتاب والسُّنة ورغب عن تحكيمهما أو زعم حصول السعادة والفلاح بالاستغناء عنهما، والتحاكم إلى غيرهما فقد ضلَّ عن سواء السبيل قال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآية.

قوله: وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ، ولكن لما أخبر النبي ﷺ أنَّ أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحده وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنَّه قال: هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي، صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السُّنة والجماعة:

قوله: وطريقتهم هي دين الإسلام: أي سبيلهم ومذهبهم وصراطهم المستقيم الذي لا طريق إلى الله سبحانه إلا هو ولا نجاة إلا بسلوكه، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ﴾ وهو دين الإسلام الذي

بعث الله به محمداً ﷺ، وهو دينه سبحانه الذي لا يقبل من أحد دينا سواه، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسْلاَمُ**﴾، وقال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾.

قوله: لكن لما أخبر النبي ﷺ: أي في الحديث المشهور عنه ﷺ من حديث أبي هريرة ومعاوية وعمرو بن عوف وغيرهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة**) (رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه) وقال الترمذي: حسن صحيح، وفي بعض الروايات قال: (وهي الجماعة) (رواه أبو داود والترمذي والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم)، وتنقسم الأمة إلى أمة دعوة وأمة إجابة، فاليهود والنصارى وكل الخلق من جنّ وإنس من أمة الدعوة فمن آمن بالله ورسوله منهم واتبع كتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ كان من أمة الإجابة ولو أنَّه ارتكب منكراً أو بدعة لا تكفر، فالوعيد في حقهم يكون من أحاديث الوعيد التي تمرُّ كما جاءت لأنهم من أمة الإجابة، فلا يخرجون من الإسلام، والافتراق الذي أخبر به النبي ﷺ في هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة واحدة ناجية واثنتان وسبعون في النار كما في الحديث. وأصولها: خمس، وقيل: ست، وقيل: غير ذلك، وهم الجهمية والمعتزلة والخوارج والمرجئة والجبرية والمشبهة أو المجسمة

و الرافضة المتقدمون، فأفاد الحديث ذم الاختلاف في الدين والتفرق فيه، وفيه التحذير مما كان عليه من قبلنا والتحذير من مشابهتهم.

قوله: هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي: هذه رواية الترمذي، وفي لفظ: (وهي الجماعة).

قوله: صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السُّنة والجماعة:

قوله: بالإسلام: أي الاستسلام لله وحده والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله.

قوله: المحض: هو الخالص الذي لم يخالطه غيره، والخالص هو السالم، يقال خلَّص الشيء: صفاه وميزه عن غيره.

قوله: عن الشوب: والشوائب هي الأقذار والأدناس سواء كانت حسيه أو معنوية، وأصل الشوب الخلط.

فالفرقة الناجية: هم الجماعة ومن كان على مثل ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه، وهم المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوائب البدعية، والطرق المخالفة فهم المعتصمون بالإسلام، المتمسكون به بالأقوال والأعمال والاعتقادات، الذين لم يشوبوه بالبدع والخرافات،

فهؤلاء هم أهل السُّنة والجماعة، بخلاف من عداهم من سائر الفرق فقد حكموا المعقول وخالفوا المنقول عن رسول الله ﷺ، فسطوا على النصوص بتخطئة الروايات وتكذيبها، فإنَّ لم يجدوا سبيلا إلى ذلك سطوا على معانيها بالتحريف والتأويل، وأصل فساد هذا العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على النقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، ولا في أمة إلا مرج أمرها، واختل نظامها، وانعقد سبب هلاكها، قال تعالى: ﴿**فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَى**﴾، قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه أنَّ لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة، ثم قرأ هذه الآية.

قوله: **وفيهم الصديقون؛ والشهداء، والصالحون، ومنهم أعلام الهدى، ومصابيح الدجى، أولو المناقب المأثورة، والفضائل المذكورة:**

قوله: **وفيهم الصديقون والشهداء: الصديقون**: الذين صدقوا أقوالهم بأفعالهم.

قوله: **أعلام الهدى:** العلامة هي ما يهتدى به إلى الطريق من جبل أو غيره، قالت الخنساء في أخيها صخر:

وإنَّ صَخْرا لتأْتَمُّ الهُداةُ بِهِ
كأنَّه عَلَمٌ في رَأْسِهِ نَارُ

وسمي العالم عَلَماً: لأنه يهتدي الناس بعلمه، كما يقال: فلان جبل في العلم والهدى هو الدلالة والإرشاد، والهادي هو الدَّال والمرشد، فالعلماء هم الهداة، أي المرشدون إلى طريق الخير، وأما الهداية في قوله سبحانه: ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**﴾، فالمراد بها هداية التوفيق والإلهام.

قوله: مصابيح الدجى: المصباح هو السراج، والدجى هو الظلمة، أي أنَّ العلماء يستضاء بهم في ظلمات الجهل، كما يُجلى ظلام الليل بالسراج المنير ويهتدى به فيه، أي من أهل السُّنة والجماعة أئمة الإسلام وهداة الأنام، والدَّالون للأمة على نهج الرسول، والكاشفون لهم عن معاني الكتاب والسُّنة، والمستضاء بهم في ظلمات الجهل وسواد الشرك.

قوله: أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة: المنقبة: المفخرة، والمأثورة أي المذكورة أي الذائعة الصيت المترددة على الألسن، قال تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ**﴾.

ومن تأمل أحوال أئمة الإسلام كيف هم تحت التراب، وكأنهم أحياء لم يفقدوا منهم إلا صورهم، وإلا فذكرهم والثناء عليهم غير منقطع، قال بعضهم:

أخو العِلمِ حَيٌّ خالدٌ بعد مَوْتِه

وأوصالُه تحت التُّرابِ رَميمُ

وذو الجهلِ مَيْتٌ وهُوَ يَمْشِي على

الثَّرى يُعَدُّ مِن الأحياءِ وهُوَ عَديمُ

قوله: وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين، الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم:

قوله: وفيهم الأبدال: أي في أهل السُّنة والجماعة الأبدال، قال في النهاية: هم الأولياء والعبَّاد، سموا بذلك؛ لأنَّه كلَ ما مات منهم واحدٌ أُبدل بآخر.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: أنَّ لله أبدالاً في الأرض، قيل من هم قال: إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أعرف لله أبدالا.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: كل حديث يُروى عن النبي ﷺ في عِدّة الأولياء والأبدال والنقباء والنجباء والأوتاد والأقطاب ونحو ذلك فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ إلا بلفظ الأبدال، روي فيهم حديث أنَّهم أربعون وأنهم في الشام، وهو في المسند من حديث علي، وهو حديث منقطع ليس بثابت.

قوله: وفيهم أئمة الدين: أي في أهل السُّنة والجماعة أئمة الدين المقتدى بهم فيه، كالإمام أحمد ومالك، والشافعي، وأبي حنيفة، وسفيان الثوري، وغيرهم، وابن تيمية وابن القيم، وكإمام هذه الدعوة الإمام

محمد بن عبدالوهاب، وغيرهم من أئمة الهدى الذين اشتهرت إمامتهم، وأجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، فلا يقبل فيهم قول جارح ولا طعن طاعن؛ إذ من ظهرت عدالته واشتهرت إمامته فلا يلتفت فيه إلى قول قائل.

وقد روي عن النبي ﷺ بأنه قال: (**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**)، وهذا يتضمن تعديله ﷺ لحملة العلم الذي بعث به.

قوله: وهم الطائفة المنصورة: أي بالحجة والبيان أو بالسيف والسنان، فعلى الأول هم أهل العلم، قال ابن القيم: هم أهل العلم والمعرفة بما بعث الله به رسوله ﷺ.

قوله: **الذين قال فيهم النبي ﷺ لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم، حتى تقوم الساعة**: هذا الحديث رواه البخاري ومسلم بألفاظ متقاربة عن جابر بن سمره وجابر بن عبدالله وثوبان والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم.

قوله: حتى تقوم الساعة: أي ساعة موتهم بهبوب الريح، تقبض روح كل مؤمن، وهي الساعة في حق المؤمنين، وإلا فالساعة لا تقوم إلا على شرار الخلق.

وفيه البشارة بأن الحق لا يزول بالكلية، وفيه أنَّ الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا ترتدّ جميعها، بل لا بد أنَّ يُبقي اللهُ من المؤمنين من هو ظاهر إلى قيام الساعة.

قوله: **نسأل الله أنَّ يجعلنا منهم وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا، وأن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، والله أعلم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً:**

نسأل الله: أي نطلبه ونفرده بالمسألة سبحانه.

أن يجعلنا منهم: أي من الفرقة الناجية المتمسكة بما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

أن لا يزيغ قلوبنا: أي يميلها عن الحق والهدى بعد إذ هدانا وفقنا وألهمنا.

وأن يهب لنا: أي يعطينا سبحانه، من لدنه: أي من عنده.

إنه هو الوهاب: أي كثير الهبات والعطايا، فلا خير إلا خيره ولا إله غيره.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أسأل الله تعالى أنَّ ينفع بهذا المتن وشرحه ومن قرأه وسمعه، ونظر فيه وجميع خلقه، وأن ينفعني به في

الحياة وبعد الممات، ووالديَّ ووالديهم وأولادي وسائر ذريتي، كما أسأله سبحانه أنَّ يجعل عملي خالصاً لوجه الكريم متبعاً فيه هدي رسول رب العالمين ﷺ تسليماً كثيراً وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قاله

عبدالله بن إبراهيم بن عثمان القرعاوي

المملكة العربية السعودية

القصيم ـ بريده



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة



ملاحظـــات :

ملاحظـــات :

ملاحظــات :

ملاحظـــات :

ملاحظـــات :